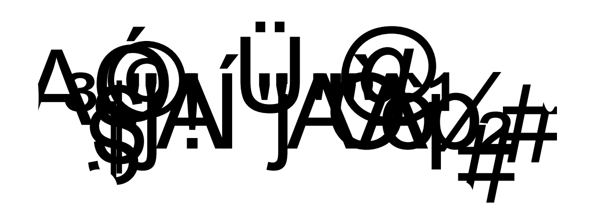
معالم التجديد عند النورسي

الاستاذ الدكتور

محسن عبد الحميد

أستاذ التفسير والفكر الإسلامي

بكلية التربية - جامعة بغداد



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين.

فإن رسائل النور للإمام المجدد الثبت، سعيد النورسي، بحر لا ساحل له، لأنها تضمنت الحديث الشامل العميق عن القرآن المقروء الذي نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن المنظور الرائع المانع، وهو الكون وآيات الأنفس والآفاق المبثوثة في جنباته، والقرآن الناطق المطبق الذي تجلى في حياة النبي الأكرم صلوات الله وسلامه عليه.

أراد الأستاذ النورسي أن يواجه بها ظلمات عصره بتلك الرسائل التي كشفت تجليات أسماء الله الحسنى في مظاهر الكون والحياة والمجتمع والإنسان، فهدى الله سبحانه وتعالى بها خلقا كثيرا من المسلمين ومن غير المسلمين.

ولقد شرفني الله تعالى بأن أقرأ تلك الرسائل قراءة دقيقة متبصرة، فكتبت عنها كتابي الموجز "النورسي الرائد الإسلامي الكبير" ثم أتبعته بعد سنوات بكتابي الكبير "النورسي متكلم العصر الحديث".

ولقد كان لأخوتي في الله، طلبة النور، فضل دعوتي للمؤتمرات العلمية العالمية التي كانت تعقد لدارسة فكر النورسي، سواء في تركيا أم في خارج تركيا.

وكنت في كل مرة، اكتب بحثا في جانب من جوانب فكر الأستاذ الثر في رسائله المباركة فتجمعت لدي أربعة أبحاث متكاملة. فارتأى الأخ الحبيب الأستاذ إحسان قاسم

الصالحي، مترجم رسائل النور إلى اللغة العربية، أن تنشر في كتاب واحد كي يأخذ طريقه إلى مكتبة "رسائل النور" مصدرا للباحثين عن الحق والنور.

على أنني رأيت من المناسب أن أضم إلى تلك الأبحاث المقدمتين اللتين كتبتهما لمجموعتي بحوث المؤتمرين اللذين عقدا في "اسطنبول" في عام 1995 وعام 1998م

والذي أرجوه من الله تعالى، أن يجزى شيخنا النورسي على جهاده وعلمه وفكره ودعوته، وأن يتقبل هذا الجهد المتواضع بمنه وكرمه. آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محسن عبد الحميد

بغداد – الكرخ- الخضراء

في 6/جمادى الآخرة/1422هـ

المصادف لـ 2001/7/27 م

مقدمة

مقدمة بحوث المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي " تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي" المنعقد في 24 - 26 أيلول 1995 باستانبول - تركيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن قوانين حركة التاريخ الإنساني أن التحديات الكبيرة لحضارة أمة من الأمم، لابد أن تكون ردود الاستجابات لها كبيرة أيضاً، إذا أرادت أن تنتصر في تلك المواجهة المصيرية.

ويكاد ينعقد إجماع المؤرخين المنصفين، والباحثين الجادين، أن التحديات التي واجهتها المجتمعات الإسلامية ودولها كانت كبيرة وضخمة جدا، منذ بدايات القرن الرابع عشر الهجري، بل قبله.

غير أن عوامل النخر المادية والمعنوية، كانت في امتنا كبيرة وعميقة ومتجذرة. ولذلك لم تكن الاستجابات في بديات الأمر بمستوى تلك التحديات نفسها.

ومن هنا فنتيجة الصراع بين مجتمعنا الإسلامي وبين الحضارة الغازية، لم تأت في صالحنا، إذ إن مراكز قوى الغزو العالمي الفكري والسياسي قد تمكنت من مجتمعنا، فزادته تخريبا وتأخرا وسقوطا. حتى كدنا نسقط في حلبة الصراع ونستسلم عقيدة وشريعة وسلوكا إلى أوضاع غريبة عنا وعن ديننا وحضارتنا كل الغرابة.

ولكن هنالك فرق كبير بين امتنا والأمم الأخرى. فامتنا تمتلك قواعد انطلاق قوية في

الأعماق، تجدد أصالتها في كل حين، وتحتفظ دائماً ببذور القيام واليقظة والتقدم والبناء فيها.

وهكذا كان، فقاعدة القرآن الكريم، الكتاب الإلهي الخالد، وقاعدة السنة النبوية المبينة، وقواعد الأصول القوية التي بناها واستنبطها عبر العصور علماؤنا وفقهاؤنا ومفكرونا، هي التي حددت لأمتنا أسس الحركة والتغيير، التي دفعت المجتمع الإسلامي الى المقاومة شيئا فشيئا، حتى انتهت إلى وضع الخلاص من الاستعمار وتحديد المفاهيم في أتون المقاومة، وتوسيع دائرة القلق الحضاري والصحوة الإسلامية المعاصرة.

ولاشك أن المجددين المخلصين الملهمين الذين بعثهم الله تعالى لتجديد أمر الدين والحياة، كان لهم الدور الريادي في نهضة المسلمين الحاضرة، لأنهم قادوا حركة الاستجابة للتحديات بعقلية إسلامية أصيلة، تعمقت في فهم جوهر الدين وحقائقه، وأدركت طبيعة المرحلة الحضارية الخطيرة التي مرت بها امتنا المقيدة بأغلال الجهل والمرض والجوع في القرون الأخيرة، واستشرفت المستقبل العزيز الذي ينتظر أمة الإسلام.

وكان من فضل الله على مجتمع المأساة في تركيا الحديثة وعلى شعبه المكافح الجريح، الذي خنق فيه الطغاة الأنفاس الطيبة، والآمال البارقة، وسحقوا بذور الحركة الناهضة، أن قيض له، رجلا ربانيا طاهرا، وعالما حركيا منصفا، ومحددا متنورا واعيا، هو الأستاذ الجليل والمرشد الخطير والمربي الكبير والسياسي النظيف، بديع الزمان سعيد النورسي، رحمه الله تعالى، فدخل الحياة الفاسدة القلقة من أوسع ابوابها، مصارعا قويا، لا تأخذه في الله لومه لائم، وهو ينبه الغافلين، ويزيل جهل الجاهلين، ويفضح الطغاة المجرمين، ويخطط لتكوين جيل مؤمن قوي البنيان، رصين الفكرة يرفض الذل، وينشئ العز، ويعود إلى الله تعالى بهدوء وحكمة، ويقف خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعتز بالانتماء إلى أمة القرآن، ويبغي التغيير السديد والبناء الجديد، لحضارة إنسانية متوازنة، ترفض القوة الغاشمة والمنفعة الأنانية، والعنصرية الضيقة، ونؤمن بالاخوة والمحبة والحق والخير والسلام.

فما أن بدأت رسائله النورية تنتشر كانتشار خيوط القمر المنير في الليلة الليلاء، عبر خطوط المراقبة، وحواجز المكر، وموانع الطريق، ومخططات الطغيان، وسيطرة الجرائم، وزحف الرذيلة، فتغزو قلوبا خاوية، وتخترق أجسادا غافلة وتتسلل إلى عقول مسمومة، فتحييها بنور الإيمان، وتنشر فيها عطر القرآن، وبهجة السنة، وروعة الحكمة، وغالية المواعظ، بقلم سيال، وخيال مرهف، وعاطفة جياشة، وضمير نظيف، وفكر نير، وسلوك متواضع، حتى أحاط به الطغيان من كل صوب، يريدون منع هذا الخير عن الأمة الغافلة، بأساليب الغدر، ومسارب الخسة، وصنوف الارهاب، فينتقل الأستاذ الداعية، من نفي إلى نفي ومن سجن إلى آخر، وهو يزداد مع الأيام شموخا لا تلين له قناة، ولا تفتر له قوة، ولا يتأخر عنه مسعى، ولا ينال من عزمه المرض والجوع والحرب البدنية والنفسية المعلنة وغير المعلنة.

غير أن الله تعالى بالمرصاد للظالمين، وينصر عباده المؤمنين، ويعلي كلمة الحق والدين المبين، فيخرج هذا الإمام الجليل الممتحن من الصراع المرير الطويل، فيرى أزاهير ما بذر، ويحصد سنابل ما زرع، يتجسد في جيل صنعه الله تعالى على يديه، آلى على نفسه أن يعيش مؤمنا مباركا نظيفا، يعود إلى الذات، وينشد للأصالة، فيقدم رسائل النور التي غدت جزءاً عزيزاً من حياته، ومنهجا قرآنيا ساطعاً في سلوكه إلى دور النشر ودواليب المطابع في عهود الحرية، لتنتشر في كل مكان، وتنور جنبات كل بيت، بهمساتها الوديعة، وكلماتها الجميلة، ونسماتها الإيمانية، فتترجم إلى لغات إسلامية وغير إسلامية، ليعم الفكر الاصيل، والعلم النافع، والحكمة البالغة.

ولا يكتفي تلامذته الأوفياء بذلك، بل يخصصون أوقاتهم وأموالهم، لفتح مدارس تحفيظ القرآن، وتدريس الإيمان وإحياء الشريعة وتجديد الاخوة، وتوجيه السلوك، وحمل الدعوة.

ثم يوفقهم الله تعالى لخدمة الإسلام من خلال تراث أستاذهم الكبير، بتعريفه إلى العالم

اجمع، فيعقدون لدراسة رسائله النورانية المؤتمرات العالمية، يدعون لها، في صياغة كريمة، تليق بمقام النورسي، ونضاله المتواصل، العلماء والمفكرين، من اجل تقديم أبحاثهم وأفكارهم حول دعوة الأستاذ، وحركته النورية القرآنية المباركة، ومكانها المتميز في صفوف الحركة الإسلامية المعاصرة.

وقد شرفني طلبة النور فوجهوا إليّ دعوة كريمة ضمن من وجهوا لهم الدعوات، لحضور المؤتمر الثالث وإلقاء بحث علمي فيه، حول الشيخ المبجل، وجهوده في تجديد علم الكلام.

فكانت أياما رائعة، وليالي جميلة، قضيناها في ربوع عاصمة الإسلام الخالدة، مدينة إسلامبول البهية، بهوائها العليل، وشواطئها الأخاذة بالألباب، وزرقة مياهها المتماوجة، وجبالها الخضر الشماء التي تحتضن الأحياء الفارهة، والحدائق الغناء، والشوارع المنسقة، وتشمخ على مدن الأرض كلها، بمآذنها الرشيقة، ومساجدها الضخمة، التي حولتها يد الفنان المسلم الى تحف عمرانية منيفة، ولوحات فنية رائعة.

بدأ يوم الافتتاح بالاحتفال الكبير المهيب في اكبر قاعات اسطنبول، بفنائها الأرضي الواسع الفاره، وطابقيها المعلقين البيضاويين. وجلس الألوف من أبناء الشعب التركي، رجالا ونساء والمدعوون، هادئين في مقاعدهم، خاشعين لجلال الموقف، منصتين لتلاوة من آيات الذكر الحكيم التي عاش الإمام المجاهد حياته كلها، مدافعا عن حياضه، وعاشقا لرياضه، وسابرا عن حكمته، ومفسرا لمعانيه الشهودية لأبناء هذا الجيل النكد المظلوم.

وصعد الخطباء العلماء الأجلاء المدعوون على منبر القاعة الحديثة، يتحدثون بلغات عدة عن شخصية النورسي العلمية والدعوية والفكرية، وجهاده الضروس، وثباته العملاق على الإيمان، ووقوفه أمام الطغيان، وأستاذيته للحركة الإسلامية المعاصرة في تركيا.

ثم بدأت جلسات المؤتمر، مساء يوم الافتتاح، في قاعتين واسعتين من قاعات فندق "آق

كون" الجميل في شارع الوطن الواسع المشجر، فقدمت فيهما في آن واحد، عشرات الأبحاث العلمية والفكرية والأدبية، في أيام المؤتمر الثلاثة، غطت محاور فكر النورسي الموسوعي المتشعب.

فمن محور الفلسفة إلى محور علم الكلام والفكر الإسلامي، ومن محور التحليل الحضاري إلى محور التاريخ البشري، ومن محور الفكر العلمي إلى ميدان البحث التربوي، ومن محور الفقه إلى مجال الأصول، ومن محور التحليل اللغوي والأسلوبي لرسائل النور إلى محور الإعجاز القرآني والدراسات الإسلامية.

والحق الذي لابد أن أسجله هنا أن المعالجات التي قدمت لفكر النورسي وتراثه العلمي، كانت دقيقة في منهجها العلمي، وحيادها الفكري وتحليلها الديني والفلسفي والأدبي، وكان المفكرون والعلماء يريدون في أبحاثهم، أن يقدموا صورة حقيقية عن جهود هذا الإمام في مجال الفكر الإسلامي والإنساني.

وكانت تعقب كل محاضرة، مناقشات هادئة، ومداخلات منضبطة، تغلب عليها الرغبة في مزيد من التعمق والتحليل والزيادة والترشيد.

ومن أروع اللقاءات وأفيدها، تلك اللقاءات الفكرية التي كان يتحدث فيها تلامذة النورسي المباشرون، بروحانيتهم العالية، وتواضعهم الجم، عن استاذهم، وذكرياتهم العزيزة عنه عقب ولائم الطعام، سواء في اللقاء الموسع الذي جرى في قاعة مطعم الفندق الكبير، ام في قاعة بناية جريدة الزمان، أم في مطعم قاعة البلدية قرب مسجد الفاتح العظيم.

وكنا نحس في تلك اللقاءات وسماع أنغام تلك الذكريات، الرابطة الروحانية المتينة التي تربط بين الأستاذ الغائب بجسده الحاضر بروحه، وبين طلبته العشاق الأوفياء الذين كانت الدموع تتجمع في مآقيهم مع كلمات الوفاء التي كانت تخرج من سويداء قلوبهم التي تمتلئ بحب الأستاذ الذي أنقذهم من التيه، ووضعهم على مائدة القرآن وخط الإسلام الخالد.

واشهد أنى كنت أحس ببركة فيوضات روح الأستاذ النورسي في ثنايا كلمات تلامذته وأحبابه والمحاضرين الذين كانوا يتحدثون بحرارة عن حياته وعلمه وجهاده، كأنه كان حاضراً بيننا بجسده النحيف الذي نالت منه أيام الكفاح، وسنون الظلم الطويلة، وهموم الأمة المظلومة.

والحديث عن النورسي، هو الحديث عن الإسلام ومأساة المسلمين ومشكلات العالم الإسلامي الحضارية، وصراعه مع أعدائه القدماء والمحدثين.

ولذلك لك أن تقول إن المؤتمر العتيد المبارك، انقلب إلى مظاهرة إيمانية علمية، عالجت قضايا الإسلام عامة، من خلال الأبحاث الرصينة التي ألقيت حول فكر بديع الزمان.

فضلا عن التعارف الروحي والفكري والإنساني بين مجموعة كبيرة من الأساتذة والعلماء والباحثين المهتمين بقضايا الإسلام ومصير المسلمين.

قارئي العزيز:

هذه الباقة المنوعة من الأبحاث العلمية العميقة الرفيعة، عن الإمام النورسي وفكره، كتبها علماء ومفكرون، ومعظمهم أساتذة معروفون في جامعات عالمية معروفة، شرقية وغربية، تمرسوا في الكتابات العلمية والأبحاث الفكرية التي تعمقت في سبر أغوار المفكر الكبير ورسائله وكتبه، حياة وجهادا وفكرا ودعوة وثماراً، واستطاعت من خلالها أن تكتشف الكثير من مظاهر عبقرية هذا الإمام الثبت المجدد، علها تكون نبراسا أمام أجيال الصحوة الإسلامية المباركة، وهداية للبشرية الضالة، نحو الإيمان والإسلام والحياة البشرية الفاضلة.

وفي رأيي أن هذه الأبحاث الجادة التي قدمت إلى المؤتمر الثالث الكبير، ليست نهاية المطاف في دراسة فكر النورسي، وإنما هي بداية طيبة قوية، ترسم مقدمات جادة لدراسات اكثر شمولا وعمقا في رسائل النورسي التي تعد من اعمق تفاسير القرآن الكريم في العصر الحديث، ومن أقربها إلى تحقيق مراد الله سبحانه وتعالى من إنزال كتابه الكريم.

فالنورسي في حياته لم يعد نفسه إلاّ تلميذا مخلصاً من تلامذة القرآن الكريم، وتابعاً مطيعاً لسنة النبي الأكرم صلوات الله تعالى وسلامه عليه، الذي عدّه ثمرة للكائنات - لأن غايتها - كما كان يقول دائما - لم تكن تستكمل إلا بمجيئه الشريف المبارك.

وأبيح لنفسي هنا أن أقول أن المؤتمرين، يشكرون معي بلسان الحال اخوة الإيمان، أصحاب الشهامة والوفاء، من تلامذة النورسي ومحبيه، الذين قاموا بخدمة أستاذهم في هذا المؤتمر خير قيام، وهيأوا لنا سبل الراحة والاستمتاع بمناظر المدينة الجميلة، لاسيما في جولة الشاطئ الشرقي قبل يوم الافتتاح، والجولة البسفورية الرائعة بعد أيام المؤتمر والتي أعادت لنفوسنا المرهقة، راحة الهدوء الباهر، والاسترخاء المريح، بعد أن عشنا أياما ثلاثة صباح مساء، من التركيز الذهني والقلق الفكري، في رحاب سماع كلمات الأستاذ الجليل، والأبحاث التي كانت تدور حولها.

فرحم الله أستاذنا بديع الزمان، متكلم الإسلام في العصر الحديث، وأعلى مقامه بين الصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المقدمـة

مقدمة بحوث المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي "نحو فهم عصري للقرآن الكريم — رسائل النور نموذجا" المنعقد في 24 - 26 أيلول 1998باستانبول - تركيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمـا بعـد : فمـرة أخـرى يتوافـد العلمـاء والبـاحثون والمفكـرون مـن أصـقاع الـدنيا علـى استانبول، المدينة الخالدة، بتأريخها وحضارتها ومآذنـها الرشيقة السامقة، ومساجدها المهيبـة العامرة، ومياهها الزرق الصافية، ومناظرها الجميلة الخلابة.

مـرة أخـرى يجمـع الإمـام المجـدد سـعيد النورسـي، هـذا الجمـع الحاشـد مـن الأسـاتذة والمفكرين وجهاً لوجـه ، يصافح بعضهم بعضا، ويلتزم الأخ أخاه في الله والصديق صديقه في الإيمان والإسلام.

يستقبل هؤلاء الأحبة كلهم تلامذةُ الأستاذ الإمام المخلصون، بـأرواحهم الطـاهرة وقلـوبهم المفعمة بالمحبة والود، ووجوههم الصبوح الباسمة المستبشرة.

انه يوم أستاذهم العظيم، بل يوم أستاذ من أعظم أساتذة المسلمين عبر العصور، بل يوم أستاذ الإنـسانية فـي فطرتهـا النظيفـة، مـتكلم الإسـلام فـي العـصر الحـديث، المفكـر الكبيـر، والداعية الخبير، والعلامة الجليل، والفيلسوف الجوال في آفاق المعرفـة الكونيـة، الرجل الذي حمل مأساة الإسلام والمسلمين، علـى كتفيـه، وطغت علـى حياتـه الحزينـة أحزانُـهم، وشغلت كيانه كله أوضـاعُهم، التـي لـم يكونـوا يُحسدون عليهـا. نعم هذا الرجل المبـارك يجمع هؤلاء المحبين مرة أخرى في ربوع الأخوة والمحبـة، لكي ينفذوا إلـى عقلـه الكبيـر، وقلبـه الحنـون، وقلمه القرآني السيال، الذي خط به وبإسم الله رسائله النورية الخالدة.

لقد أعدوا أبحاثهم النفيسة المختارة في جوانب عميقة من علوم القرآن التـي تتجسد علـى كل صفحة من صفحات تلك الرسائل الخالدة المجيدة أسرارها التـي أودعهـا الله سبحانه خـلال آياته الكريمة.

ألم يكن النورسي يفتخـر دائمـا ويشمخ علـى الـدنيا كلهـا انـه تلميذ مـن تلامـذة ذلك القرآن العظيم.

ألـم يعشق بيانـه؟ ألـم يبـيّن إعجـازه؟ ألـم يغـص فـي حقائقـه؟ ألـم يعـش لحظاتـه مـن خـلال إيمانه؟ ألم يقرأ الكـون بقدرتـه السريانية المبدعـة بين خمائل آياتـه؟ ألـم يـدخل فـي نـسيج حيـاة أمته المظلومة من خلال صرخاته وسننه وتوجيهاته؟

ألم ينـشر نفسه وروحـه بين جـلال آيـات القرآن الكـريم وجمالهـا، كـي يطـابق بينهـا وبين آيات القرآن المنظـور، مـن فـوق قمـم جبـال "جـام"، وهـو يحتـضن الـصفحة الزرقـاء الواسـعة ذات الإطار الخضر من الجبال المحيطة ببحيرة " اكريدر" ؟

ألم يكن يظهر أمام عينيه النفاذتين، شريط حياة القرآن الناطق، رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم من خلال آية " **وإنك لعلى خلق عظيم** " ؟

ألـم يكتـشف المعـاني العميقـة فـي مجـال العقيـدة والـشريعة والـسلوك مـن تفاصـيل تجليـات أسماء الله الحسنى التي تجسدت على صفحات القرائين الثلاثة: المقروء والمنظور والناطق.

إذن فليكتـب الكـاتبون وليبحـث البـاحثون وليفكـر المفكـرون فـي مـا كتبـه الإمـام النورسـي عبر رسائله الكونية القرآنية الإنسانية. التـي بشرت بقرب تجليات تلك الأسـماء الحسنى مـرة أخـرى فـي عـالم العلـم والحيـاة والحـضارة، لتـشرق شمـسا سـاطعة علـى ظلمـات الجاهليـة المعاصرة، فتنبت ازاهير فواحة العطر في مروجها اليانعة .

وهل جـاءت قراءات النورسـي الثلاث إلا لتقيم دولـة السعادة الإنسانية فـي قلـوب الخلـق أجمعين ؟

وهل القرآن الكريم نـزل إلا للتفكر والحركة والتغير وبناء الحضارة الفاضلة ؟

لقـد عـرض الإمـام حقـائق القـرائين الثلاثـة المتطابقـة، مـن خـلال المعـارف الحاضـرة، وطبيعـة المرحلـة الآتيـة، فـانطلق يريـد صـياغة أمـة الإسـلام مـن جديـد عبـر مواجهـة قرآنيـة ساخنة ، ترجع الإيمان إلى القلوب، والصواب إلـى العقول، والتزكيـة إلـى النفوس، والطهـارة إلى الوعي الإسلامي كله.

انه بكثير من الاختصار يريد تجديد القانون الإسلامي الخالد :

" من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام " فكأنه كان "ربعى" [1] قام من قبره ليُطلق كلماته القوية في وجه "رستم" القرن الجديد!!

أفنعتب على الحشد الكبير من تلامذته المؤمنين المخلصين المجاهدين الذين جاؤوا من آفاق تركيا الواسعة ليقيموا مؤتمراً عالمياً رابعاً لتقديم فكر أستاذهم أمام بساط البحث العالمي الذي يجلس حول مائدته العريضة كبار العلماء والمفكرين من قارات الأرض .

وفكر النورسي ليس فكراً ضيقاً، يستطيع مؤتمر واحد أن يحيط به مهما كان كبيراً.

إنّ فك رسائل النورسي في رموزه وأسراره، ومعارفه وأذكاره، ومقاصده وغاياته، وعلومه وآدابه، وحواره وجداله مع الكون كله، والإنسانية جميعها، يحتاج إلى روية في البحث وذكاء في القلم وإحاطة بمصطلحات العلوم، تبحث في عمق بحارها لتستخرج منها الدرر واللآلئ، لا في مؤتمرات تقام في عاصمة الخلافة وحدها، وإنما في ندوات مختصة تقام في كل بلد عريق يحتاج إلى شم أزاهير تلك الرسائل القرآنية. كي تضع البشرية المتمدنة كلها أمام فطرتها وكينونتها وأمام الحقائق القرآنية التي تعرضها رسائل النور: في الخالق والكون والحياة والمجتمع والانسان، لتجد نفسها الضائعة في متاهات الجحود المادي الكنود، فتتذوق لذة العبودية لرب العالمين.

لقد مرت عشرات السنين في دنيا المظالم الكئيبة، والنورسي يُنقل من سجن إلى سجن ومن نفى إلى آخر أقسى، ومن طغيان إلى جبروت أفظع منه، وأمته والمسلمون والبشرية لا

1- ربعى بن عامر، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قبيل القادسية ليفاوض رستم قائد الفرس.

يعرفون عنه شيئا. والذي كان قد سمع باسمه، ظن انه شيخ طريقة، يهذب نفوس تلامذته ويبعدهم عن دنيا السياسة والحركة ..

نعم، لقد كان هذا الطود الشامخ مجهولا، وظل فكره الشمولي الواسع أسير صفحات تُكتب أو تُنقش هنا وهناك، وتنقلها أيد مؤمنة بكل شجاعة وعزة، مشياً على الأقدام بين المدن والقرى خوفا من بطش الطغيان اللاديني الحقود.

غير أن رحمة الله بالعباد جرت بـألاّ يبقى هذا السفر القرآني المجيد أسير الخطوط والنقوش ثم سجين المطابع المحدودة في حدود تركيا. وكان لسان الحال في العالم ينتظر بشغف مهرجان عرس كلمات النورسي لتنفذ إلى قلوبها الخاوية .

ومن هنا فهذه المؤتمرات التفاتات ربانية وأنفاس رحمانية ينطلق منها النوريون بإذن الله تعالى ثم من فيض بركة روحانية أستاذهم ، لإقامتها ودعوة العلماء والمفكرين إليها، لكي يعيشوا أياماً قلائل بين أواصر الاخوة الصادقة، وآفاق العلم الغزير، والفكر النير، والبيان الآخذ بالألباب، والروحانية الصافية المغذية للأرواح، تمهيداً لدخول الجميع في موكب القرآن الكريم، موكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الأكرمين والتابعين لهم إلى يوم القيامة من المجتهدين والمجددين والأولياء والصالحين .

وإن أنس فلا أنسى يوم الافتتاح الكبير للمؤتمر، فقد زحفت حشود مؤمنة تحمل كل الحب، لإمام المسلمين، كي تأخذ أماكنها في قاعة ضخمة من اضخم قاعات اسطنبول، فكانت مظاهرة إيمانية رائعة خاشعة. وهي تستمع إلى آيات القرآن الكريم والكلمات النافعة، والمحاضرات العلمية الهادئة، وهي تعيد إلى الأذهان، وقفة الرجل التاريخية في وجوه أعداء الله بالحجة والمنطق والبرهان، التي شكلت فيما بعد ثورة كبيرة عميقة هادية هادئة نزلت إلى جذور الانحراف والفساد فاقتلعها بعصا القرآن الكريم.

ثم بدأت الجلسات المكتظة في قاعتين كبيرتين من قاعات فندق "آق كون" ينتقل فيها الباحثون بين محاور موضوعات القرآن الكريم، فمن محور عالمية القرآن، إلى القرآن والحوار، إلى القرآن والعصرانية، إلى حقوق الإنسان وحرياته في ضوء القرآن الكريم، إلى القرآن والعلوم الحديثة مصدرا للمعرفة، إلى أسلوب الدعوة والإرشاد في القرآن، إلى حلول قرآنية لمشكلات إنسانية، إلى نظرية المعرفة والفلسفة في القرآن، إلى مقاصد وقصص وتكرار القرآن.. إلى غير ذلك من الموضوعات ، عولج كلها في ضوء موسوعة الإسلام الكبرى في هذا العصر، وهي رسائل النور، بموضوعية ودقة وحياد رشيد، من خلال قراءة عميقة ودقيقة لهذا الكتاب الخالد، الذي هو أعظم تفسير شهودي للقرآن الكريم إلي الوقت الحاضر .

وعلى الرغم من ابتعاد المؤتمر من يوم الافتتاح عن الإعلام الكذوب. غير أن أحداثه وهيبته فرضت نفسها على أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، بين شاكر لله على تغير الحال، وحاقد أكل فؤاده حقده الدفين على الإمام الصابر ورسائله النورانية وطلبته المجاهدين الأمناء.

ولم ينس الأخوة النوريون أن يهيأوا للمؤتمرين، الجولة البحرية الجماعية الرائعة، التي مخرت بنا البسفور، من قلب اسطنبول إلى مشارف البحر الأسود. فكان يوماً جميلاً رائعاً عشنا ساعات من الهدوء في أحضان الأحاديث الأخوية والفكاهة البريئة المنعشة التي كان يطلقها المعلق الشاب المحبوب، وهو يتكلم بعربية هادرة مكسرة تدخل البهجة والسرور في نفوس الحاضرين.

وبعد أن تمتعنا يوما كاملا بزرقة مياه المضيق وخضرة جباله الشم على شاطئيه، رجعنا إلى الفندق، ونحن نشعر بالراحة التامة، وندعو الله ان تعلو الاخوة، ويستمر الود، ويتصل اللقاء، مع هؤلاء الاخوة الذين ربتهم رسائل النور، وكأنهم ملائكة يمشون على الأرض.

وبعد انقضاء الأيام المباركة، أيام المؤتمر سريعة خفيفة، قسَّمَنا الاخوة النوريون إلى قافلتين، قافلة اتجهت إلى "بورصة"، وقافلة اتجهت إلى "اسبارطة"، وكنت معها. صاحَبَنا فيها تلميذا النورسي المتواضعان، الأخ مصطفى صنغور والأخ محمد فرنجي.

عشنا أياما مباركة مع النورسي في غرفته المتواضعة في إسبارطة وبارلا، واحتضنا شجرة الدلب الضخمة، كما احتضنها هو باكيا بعد أن عاد إليها عقب سنوات النفي والسجن والعذاب .

وكان أروع ما في تلك السفرة الروحانية صعودنا فوق جبل "جام" الذي يشرف من قمته العالية على صفحات مياه بحيرة "اكريدر" الزرقاء، والتي طالما جلس النورسي فوقها وفوق أشجارها العالية يناجي ربه وينظر إلى الكائنات، ويعاني آلام المسلمين، ويكتب رسائل النور، وحيدا شريدا.

إن من لا يصاحب طلبة النور ولا يخالط أجيالهم الشابة في إيمانهم العميق وهدوئهم البرئ، واخلاقهم العالية ونظافتهم البديعة، ودروسهم الإيمانية المطهرة، لا يعلم مدى عمق اثر الإمام النورسي في تربية الجيل الجديد على حب الله ورسوله ، ثم حب العلم والفكر والعرفان والتغيير .

فلنقرأ هذه الأبحاث العلمية العالمية، حول الفهم العصري للقرآن في رسائل النور، من اجل تجديد إيماننا وتثقيف عقولنا وتهذيب نفوسنا، ثم نترحم على الإمام المجدد المجاهد الصابر .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

النورسي متكلم العصر الحديث

البحث المقدم إلى المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي" تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي" المنعقد في 24 - 26 أيلول 1995باستانبول – تركيا.

في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، تجمعت قوى الظلام والتدمير في العالم، على إطفاء نور الإسلام واستعباد أبنائه، والتخطيط لإسقاط دولته التي حافظت على كرامة أبنائها حوالي خمسة قرون. ومن هنا ظهرت الأعماق الخفية للمرتدين، وتوضحت صورتهم الحقيقية، فبثوا الدعاية وضخموا الأخطاء، واطلعوا الأعداء علي العورات ومكنوهم من احتلال البلاد. تقودهم قيادة اليهودية العالمية وبؤرها الماسونية، وتنصرهم الصليبية ودولها بقواها الغاشمة، ليسقطوا الدولة، وينتهكوا الكرامة، ويسفكوا الدماء، ويغيروا القيم والموازين والقوانين، ويظهروا في الأرض الفساد، بإظهار الخلاعة وإقامة المنكر ونشر الإلحاد، وإخراج المسلمين من حضارة العلم والإيمان إلى حضارة الكفر والطغيان.

هذه التحديات الهائلة، حركت الأجساد الهامدة، والأفكار الراقدة، والجموع الحائرة، والجحافل المنهزمة. ظهرت في استجابات دعوات المصلحين، وصيحات الغيورين، وأفكار العلماء، ودماء الشهداء. في كل صقع ترتفع فيه شهادة أن لا إله إلاّ الله وان محمداً رسول الله.

وكان نصيب المسلمين في تركيا المسلمة من ذلك الكفاح والجهاد نصيباً يتسامق مع فخار تلك الأمة المؤمنة التي قادت بدماء شهدائها الأبرار، عبر قرون من الزمان، معارك الإسلام الكبرى، التي صدّت قوى الصليبية الزاحفة، عن الأمة الإسلامية وعن ديارها المقدسة في أرض الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى المبارك. فحال بينها وبين حدوث

كارثة أندلسية أخرى، في الشرق العربي المسلم، عندما سدّت النوافذ المفتوحة، وسيطرت على البحار المشرفة، وحطمت الجيوش المتقدمة، وملأت الفراغ الرهيب.

لقد شاءت إرادة ربّ العالمين ألا نموت هذه الأمة الإسلامية الشاهدة، الحاملة لآخر رسالة سماوية إلى الكون كله، فبعثت الربانيين الصادقين، والعلماء العاملين، والمجتهدين المتنورين، والمجددين المخلصين، الذين كانوا شهوداً ظاهرين على معجزة الإسلام في الحياة، لإنقاذ الأمة من السقوط الحضاري الذي وقعت فيه، وأعادتها إلى صدر الإسلام الحنون وحضارتها الربانية السمحة، بعقيدتها الفطرية، وشريعتها الحكيمة وأخلاقها الرفيعة.

وفق الله تعالى الأستاذ الكبير والإمام الجليل والداعية الثبت إلى إنجاز خير كثير في هذا الوطن الإسلامي العريق.

ففي ميدان السياسة الإسلامية اعتمد على التوثب الحذر، والمواجهة الذكية والتخطيط الهادئ ومراعاة ظروف الأمة، ومعالجة أدوائها في جذورها البعيدة، ومظاهر الحياة الاجتماعية في قواعدها التحتية، وتحويل المعركة من أسلوب إعلامي فاضح إلى مخطط فكري عميق، ينظف الأذهان ويعالج الأدران، ويشخص الأعداء، ويهيئ لصياغة الأمة المنكوبة من جديد.

وكان النورسي من قوة الإيمان، واطمئنان اليقين وعزة النفس وصلابة الشخصية وعظم الشجاعة، بحيث كان يستطيع إدارة المعركة الدموية، ومواجهة الحكام في زمانه مواجهة صريحة هادرة، ولكنه كان موقنا بان ذلك الأسلوب لم يكن في مصلحة الأمة. وكان يدرك تماما أن الأمة في صراعها الداخلي يومئذ لم تكن بحاجة إلى الشهداء، وإنما كان بأمس الحاجة إلى العلماء الصادقين - والدعاة العاملين والحكماء المفكرين، من أجل إنقاذ الإيمان، والوقوف أمام الردة الحضارية والزحف الجاهلي، متمثلاً بالحقد الصليبي والتآمر اليهودي، وخيانة المنافقين.

وأما في مجال العقيدة الإسلامية، فقد اقتنع النورسي أنه لم يعد يكفي في إدارة صراع الزمن الجديد، علم الكلام المصطلحي، الذي كان يتعامل مع مادة معرفية عتيقة انتهى عهده، وولت صراعاته اللاهوتية النظرية.

نعم، لم يعد يكفي منهج المتكلم المعتزلي الذي دخل في جدال تجريدي من أجل إبعاد مفهوم الصفات الإلهية عن الأقانيم النصرانية، محاولة منع المسلمين من الوقوع في شرك موهوم وتجسيد رواقي مستورد.

ولم يعد يفيد الأمة منهج حفظة النصوص في مواجهة المعتزلة، في الدعوة إلى عدم الخلط بين أوراق الإسلام وأوراق الصراعات اللاهوتية ومصطلحاتها.

وكذلك لم يكن يسعف في المعركة الجديدة، منهج الأشاعرة في نفي التطرف من التجسيم الحشوي والعقلاني المعتزلي، ومحاولة التقريب بينهما ليقدم حلا وسطا في المسائل المتعلقة بالتوفيق بين النقل والعقل في علم الكلام القديم الذي كان يشكل فكراً مرحلياً مقبولاً يومئذ بين المسلمين أو جمهورهم.

وأخيرا هل كان ينهى مواجهتنا مع أخلاقيات الحضارة المادية في إطار جاهلية شاملة، منهج الزهاد الذين يظلون يسيرون في مدارج السالكين دون التفكير بالعودة إلى الأرض ليقودوا حركة مواجهة طغيان هذه الجاهلية العالمية، وأدواتها السلوكية المدمرّة.

لقد كان الزمن الإسلامي الجديد ينتظر بفارغ الصبر عقلية متحضرة واعية، ومتكلما منظراً، يمتلك علما إسلاميا غزيراً، وإدراكا إيمانيا عميقا لطبيعة الصراع بين منظومة الحضارة الإسلامية ومنظومة الحضارة الغربية في ظل مرحلة التأخر والسقوط الحضاري، والخواء الإيماني الذي كان يعيش فيه المسلمون يومئذ.

لقد شاءت إرادة الله أن يكون ذلك المتكلم المعبر عن زمانه هو الأستاذ بديع الزمان الذي:

أولاً: اكتشف تماما أن غزوا فكرياً مركزاً يشن على العقيدة الإسلامية، وإسقاط هيبتها وهيبة شريعتها ونظامها الأخلاقي في نفوس المسلمين، ابتداء من الدوائر الأجنبية وانتهاء بأجهزة الإعلام والثقافة والتربية التي كان يقودها الملاحدة والمنافقون والماسونيون وتلامذتهم وعملاؤهم ممن تشبعوا بالأفكار المادية الحديثة.

ثانياً: حاول إيجاد علم كلام قرآني يعتمد على الأدلة المتدرجة من المحسوس إلى المجرد، محققاً بتجربة واعية المطابقة الكاملة بين القرآن المقروء والقرآن المنظور والقرآن الناطق الذي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يعدّه ثمرة الكائنات التي لم تكن لتكمل إلا بمجيئه المبارك.

ومن هنا فانه لم يقتصر على موضوعات علم الكلام القديم وإنما تجاوز ذلك إلى بيان المذهبية[2] الشاملة في الوجود، بما فيها الإنسان والطبيعة، فغداً مخططه الكلامي الحديث مواجها تماماً لمخطط الغربي الأيديولوجي في اقتحام الموضوعات المذكورة من وجهة نظر الفلسفات المادية.

ثالثاً: ظهر له أن المواجهة غير متكافئة بين أمة هزيلة مغلوب على أمرها وبين القوى الطاغوتية الغاشمة، التي كانت لا ترحم في فرض الكفر عن طريق التصفيات الجسدية الرهيبة للذين يقفون في طريقها في تغيير هوية الأمة وسلخ جلدها وإدخالها في ثقافات منحرفة وأنظمة اجتماعية كافرة لا صلة لها بها دينا وتاريخا وحضارة ولغة.

رابعاً: قرر المواجهة بمنهج أصولي شامل جامع يوقف المسلمين أمام تلك الكوارث الكبرى في خندق واحد، لأنه لم يكن يؤمن في هذا الكون إلا بخندقين متقابلين؛ خندق الإيمان والرحمن، وخندق الكفر والشيطان.

2- أستعمل المذهبية الإسلامية بمعنى " ما ذهب إليه الإسلام في أمور الكون وخالقه والحياة والمجتمع والإنسان، أي المنطلقات الكلية الثابتة بالوحي الإلهي القاطع".

خامساً: لا يؤمن الأستاذ النورسي بالمعرفة الجزئية ويعدها ناتجة عن نواقص العقل البشرى. فمهما أوتي العالم المسلم علماً من العلوم أو معرفة محدودة من المعارف أو غاص في سر من أسرار الوجود، فانه لن يستطيع الوصول إلى المعرفة الشمولية والقانون الرابط للكون، وحينئذ يفقد الموازنة والاتساق.

ولذلك فانه يبين أن فهم القرآن الكريم والإطلاع على حقائقه بمقدماته ونتائجه في عالم الأنفس والآفاق هو الذي يرسم الموازنة الكاملة في فكر العالم المسلم والعارف المسلم، لأن طريقة القران الكريم هي اقرب الطرق إلى إثارة الفطرة الإنسانية وتحريك العقول الباحثة عن الحق والقلوب العامرة بالتوثب الدائم نحو الكمال.

ومن هنا فان منهج النورسي في رسائل النور الخالدة، قد عصمه إلى حد كبير من الانزلاق الفكري في إخضاع النصوص إلى متطلبات الحياة المتغيرة، وعوارض قصور الفهم البشري، البعيد عن هداية الكتاب العزيز والسنة المطهرة، على الرغم من قدرته الفائقة في السَرَيان إلى ابعد معنى في تتبع خلايا الوجود في إطار أوسع دائرة ممكنة في الطوق البشري.

سادساً: النورسي يفصل بحسم بين الوحي الإلهي وحركة التاريخ الإسلامي، ولذلك فانه مجدد حقا، يحاول ان يجدد حياة أمته في الزمن الحاضر والمكان الحاضر والصراع الحضاري الحاضر، ولكن بقيادة القرآن الكريم وأستاذيته الربانية، وريادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم والقيم الرفيعة النبيلة التي صاغت كتائب المجاهدين.

وهو لا يدعو إلى النكوص إلى الوراء ولا الوقوف عند الزمن الحاضر، وإنما يؤمن بحركة الأمة الإسلامية، وتجديد الفكر الإسلامي في كل عصر، موازيا للمستوى الحضاري الذي وصل إليه الإنسان، بعيداً عن المادية الاسنة، المشدودة خيوطها بمراكز القوى اليهودية والنصرانية والزندقة الحديثة.

سابعاً: النورسي لا يرفض الفلسفة الحقة أو الفلسفة المؤمنة، وإنما يرفض العبثية التي تنكر إله الكون ونظام الكون، وترفض مبادئ الدين الحق، ولقد غدت تلك الفلسفة وسيلة للتردي في الضلالة والإلحاد والسقوط في هاوية المستنقع العفن للطبيعة الجامدة، والتي ترى القوة نقطة استناد في الحياة الاجتماعية، وتهدف إلى المنفعة في كل شئ، وتتخذ النـزاع دستور للحياة وتلتزم بالعنصرية رابطة للجماعات.

ومن المعلوم كما يقول أستاذنا الجليل، أن شأن القوة هو الاعتداء وشأن المنفعة هو التزاحم وشأن الصراع هو النـزال والجدال وشأن العنصرية هو الاعتداء.

أما الفلسفة القرآنية - إن صح التعبير - فهي تقبل الحق بدلاً من القوة، ورضى الله بدلاً من المنفعة، والتعاون أساساً في الحياة بدل الصراع وتلتزم برابطة الدين والإنسانية بدلاً من الرابطة العنصرية.

على أن بديع الزمان لا يرفض الفلسفة المادية فحسب وإنما يرفض أيضاً ما يسمى بالفلسفة الإلهية القديمة التي تحولت إلى أبواب من الشرك، ممثلة بروادها اليونانيين من أمثال أفلاطون وأرسطو وتلامذتهم من المسلمين كالفارابي وابن سينا الذين لتأثرهم بالفلسفة اليونانية، لم ينالوا إلا أدنى درجات الإيمان، لأنهم لم يتخذوا القرآن الكريم أستاذا لهم في الحياة.

ثامناً: يرفض الأستاذ المنطلقات الثقافية في الحضارة الغربية، لأن المادية البحتة هي التي توجهها، ولا يرفض الجوانب العلمية فيها، من منطلق أن الإسلام دعا المسلم أن يتحرك في إطار اكتشاف قوانين الحياة والاستفادة منها لإقامة الحضارة وبناء التقدم، ولذلك فانه من ضرورات إقامة المجتمعات القوية، أي إنه يؤمن أن المجتمعات الإسلامية تحتاج إلى تبنى التقنية الحديثة وبناء الحياة الحضارية المنظمة، مع المحافظة على الإيمان والأصالة والقيم الذاتية للأمة الإسلامية.

تاسعاً: وأخيراً وليس اخراً، يؤمن الأستاذ النورسي، في حركة التغيير الاجتماعي بالنظام ويرفض الفوضى، ويعتقد بالتدرج وينكر الطفرة، لأنها تتناقض مع نظام الكون القائم على شبكة من القوانين التي تعتمد التدرج، والانتقال من المقدمات الصحيحة إلى النتائج الصحيحة.

وفي ضوء ذلك يدعو الإنسان إلى تغير اجتماعي منظم يتمسك بقانون التطور الفطري الذي يبدأ من القاعدة إلى القمة، لا العكس، ويؤدي إلى زعزعة الحياة الاجتماعية، وينتج منه شر مستطير، وتخريب كبير.

ولإيمان الأستاذ بالتغير في إطار الوعي الاجتماعي، والدعوة السلمية والتخطيط الهادئ، فانه لا يبيح الجهاد المسلح في داخل المجتمع الإسلامي الموجه الى الدولة ومؤسساتها، لان ذلك لا يخدم من وجهة نظره إلا العدو الخارجي المتربص بالمجتمع الإسلامي من حيث هو كل واحد.

على انه لا ينكر أن استعمال "الهراوة " قد تحتاج إليه العصبة المؤمنة القوية في المراحل الأخيرة من بناء المجتمع الإسلامي الجديد، لأن من لا يفيده النصح والإرشاد حينئذ، يفيده القلع والإبعاد، حسب تعبير الإمام حسن البنا الشهيد رضي الله عنه وعن شيخنا بديع الزمان.

هذا هو الأستاذ النورسي، العلامة، المتكلم المجدد المربي، الحركي العظيم، الذي نكتشف الكون الإسلامي والإنساني كله من خلال كلماته المتأججة الخالدة المتطورة إلى الأمام دائما، في نماء خصيب كخصوبة مهرجان الربيع الذي كان يعشقه ويحتضنه كل عام بروحه وكيانه، فيقود موازيا له مواكب كلماته الخالدة في رسائله النورانية القرآنية الباهرة، في مهرجان آخر إلى الله تعالى، لينقذ إيمان أمة غافلة منكوية، خطط الأعداء لسرقة إيمانها وتغريب ثقافتها وتغيير دستور حياتها، والحيلولة دون انفجار صوتها من جديد.

إذن فمنهج النورسي التجديدي الكلامي التغييري ليس منهجا مرحلياً مرتبطاً بزمن

معين، ولم يكن علاجاً لمشكلات معينة، وإنما هو المنهج الشمولي الذي يشكل السقف الراسخ فوق حركة الأمة الإسلامية، لكن بلغة العصر، وحياة العصر، وصراع العصر في مواجهة جاهلية العصر.

لقد كان علم المتكلمين السابقين من الكتب - أما علم النورسي فبدأ من الكتب ثم تجاوزها إلى الكون فالقرآن الكريم، فرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إلى حركة إيمانية اجتماعية، اجتهدت في إصلاح ما أفسد الناس في عالم الغرباء.

فشتان بين علم مجرد وعلم مطبق، وبين علم مقيد وعلم مطلق.

رحم الله تعالى شيخنا النورسي رحمة واسعة - واجزل مثوبته، وجزاه عن أمته خير الجزاء، وحشره مع الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نظرية المعرفة
في القرآن الكريم
من خلال رسائل النور

بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي"نحو فهم عصري للقرآن الكريم: رسائل النور أنموذجاً" 20 - 22 أيلول 1998استانبول - تركيا

رسائل النور هي تلك الرسائل التي ألفها الأستاذ سعيد النورسي، رحمه الله تعالى، لتحديد المذهبية الإسلامية في الوجود، بتفاصيلها الكاملة الشاملة، اعتبارا من تجواله الكوني الدقيق إلى الحديث عن الخالق العظيم وما يريده من الإنسان، من إيمان عميق، وتوحيد خالص، واستسلام خاشع لحاكميته المطلقة، والتزام عملي للقيم الرفيعة المنبثقة من أسمائه الحسنى التي أشرقت على الوجود، وحددت نصيب الإنسان منها، كي يقوم بدوره الحضاري، أداء لدور الأمانة[3] وتنفيذا لمهمة الخلافة[4] وليتخذ صورة " احسن تقويم " ويعتلي مرتبة تفوق المخلوقات جميعا[5]من أجل أن تنمو فيه الكمالات الإنسانية لكي يستحق مقام العبودية الخالصة لرب العالمين، وتتفجر لديه الطاقات الكامنة ومزايا اللطائف الإنسانية التي ترفعه فوق مستوى الحيوانية .

---

3 - قال تعالى **" إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا "** الأحزاب: 72

4 - قال تعالى **"وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة "** البقرة : 30

5 - الكلمات : 134 - 140

ولقد استحق الإنسان هذا الدور، لأنه الثمرة النهائية لشجرة الخلقة، ومن المعلوم أن الثمرة هي أبعد أجزاء الشجرة واجمعها وألطفها. لذلك فقد جعله الله سبحانه مدارا لجميع نقوشه البديعة، جلت عظمته، وصيره مثالا مصغرا ونموذجا للكائنات بأسرها[6]

ومن المؤكد أن ذكاء النورسي الحاد، وخياله الخصب، وإخلاصه العظيم لله سبحانه وتعالى وامتلاكه ثقافة إسلامية واسعة، ومعارف إنسانية متنوعة، بجانب قدرة فائقة على التأمل العميق، هو الذي انتهى به إلى كتابة تلك الرسائل النورانية القرآنية التي تجاوزت مائة وثلاثين رسالة.

على أن تلك الرسائل لم تكن عشوائية، وإنما اتبعت منهجا دقيقا في رسم نظرية واضحة للمعرفة الكونية والإنسانية، حتى لا يضل الإنسان، ولا سيما المسلم في تيه العبثية والخبطة العشواء في سوق المعارف المعروضة بلا حساب.

لقد رفض النورسي الغوص في التاريخ وما أنتج فيه من معارف مرتبطة بالزمان والمكان، تمثل صراعات المصالح والغرائز في هذه الأرض، والتجأ إلى القرآن الكريم مباشرة، كي يرسم نقطة الانطلاق لبناء مجتمع جديد ينمو كشجرة طيبة، مكان ذلك المجتمع الخرب الذي صنعه تخلف القرون المظلمة في العالم الإسلامي.

رفض علم الكلام القديم ولم يعرض مادته المعرفية، لأنها لم تكن تتصل بمشكلات عصره وهموم المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري، ولان منهجها لم يكن منهجا قرآنيا، إذ هي لم تستنبط مباشرة من القرآن الكريم، لأن تعاملها كان مع الفلسفات واللاهوتيات الأجنبية، التي كانت تمر بدهاليز العقل المنفرد في صراعاته اليومية لتحقيق اكبر قدر ممكن من المصالح الذاتية، التي كانت تنشد حب الانتصار وليس الحرص على الوصول إلى الحقيقة.

---

6 - الكلمات : 349

وكذلك رفض مناهج الفلسفات القديمة، لأنها انفردت بفهم الوجود من خلال عقل مادي لا يتجاوز عالم الشهادة، ويفهم ظاهرا من الحياة الدنيا، فهي فلسفات وثنية لا تليق بالإنسان المكرم ولا يشرفه أن يكون تلميذا لها. [7]

بينما المنهج القرآني منهج صاف مباشر، يخاطب الكينونة الإنسانية مجتمعة، ويوقظ فيها الفطرة النظيفة. [8]

وكذلك يرفض الاعتماد على المعرفة الإشرافية التي تعتمد على رياضات وتجارب فردية، قد تختلط فيها الإلهامات الرحمانية مع النفثات الشيطانية، ولا نستطيع أن نفرق بين الاثنين، لأنها ابتعدت عن تلمذة القرآن الكريم واتباع القدوة العظمى في الوجود محمد بن عبد الله ρ، الذي سدّ الله تعالى بمجيئه كل باب، دون بابه الرباني النوراني المقبول.

إذن كيف ينطلق النورسي معرفيا إلى فهم قضايا الوجود؟

انه ينطلق من "الكل الشمولي" للقرآن الكريم في مخاطبة الفطرة الإنسانية. انه لا يضع بين الحس والعقل والحدس خطوطا فاصلة، وإنما يدمجها في وحدة قرآنية للسير إلى الله سبحانه تعالى، والتغلغل في فهم الجزئيات الدقيقة في المعرفة الكونية، لأنه يتلو مع القرآن آيات الكائنات في مسجد الكون الكبير، وليس في أقبية النظريات المعرفية المادية المحصورة بالقياسات المنطقية والنظرات المادية والخيالات الروحية.

إنه يقف أمام قرآن الكون ليقرأه قراءة شاملة عميقة ليصل إلى الله تعالى من خلال تناسقه المعجز ونظامه الباهر وجماله الأخاذ وفنه العجيب وقانونه الموحد وحركته المتوازنة.

وحينئذ فقط، يعود الإنسان إلى حجمه الصغير، فيشعر بالفقر والتذلل والصغار والتضرع إلى خالق كل هذا وحده، ليكبر في حجمه تجاه المتكبرين والعالين في الأرض بغير

---

7 - الكلمات : ص 144 ، 644 - 648

8 - الكلمات : ص 512 - 515

الحق "لأن من كان ضيفا عند هذا الجواد الكريم جل وعلا، كيف يكون الفقر والحاجة إليه مؤلما وثقيلا" [9]

لكن قراءة الكون بشمولية ودقة وعمق يحتاج إلى ثمرات العلم، لأنه يكشف عن حقائق الوجود، ويفصل خريطة العالم، ويفرش أمام قوى الإنسان النظام الكامن في ملايين الجزئيات، ويبحث عن الخالق بلغته الخاصة. [10]

وحينئذ يظهر اسم الحكمة، وتسقط براقع القوة العمياء والطبيعة الصماء، والأسباب التائهة والصدفة العشواء، لتذوب في دائرة المحال بألف وجه من الوجوه. [11]

إن ملاحظة نظام العالم في ظل هذه القراءة الربانية الكاشفة عن حركة الكائنات، وفقرها الى الخالق العظيم، هو الذي يدخل الطمأنينة الواعية في الكيان الإنساني. لأنه حينئذ يشعر بان استمداد وجوده من الله تعالى هو جزء من فقر الكائنات إليه. [12]

فكيف يعيش الإنسان بعد ذلك في دائرة ذاته أو عالمه المادي، بدون شعور داخلي عميق متأجج بأنه عبد من عباد الله في هذا الكون الرحيب.

وقد يسألنا سائل فيقول: إذن أي عقل يريده النورسي في معرفته النورية إلى الله سبحانه؟

نقول:

انه يريد العقل الذي يبيع نفسه إلى الخالق عز وجل، ولا يجعل نفسه ندا متمردا عليه سبحانه، لأنك إن لم تستعمله في سبيل كشف الحقيقة الربانية، بل جعلته يستسلم إلى الهوى والنفس الطاغية، فانه يتحول إلى عضو مشؤوم، إذ يحمّلك آلام الماضي الحزينة وأهوال المستقبل المخيفة.

---

9 - الكلمات : ص 29

10 - الكلمات : ص 175

11 - الكلمات : 179 - 184

12 - الكلمات : ص 6 - 8

ولكن إذا سلكت بالعقل في سبيل الله وبعته لله، فانه حينئذ يكون مفتاحا رائعا يفتح مالا يعد من خزائن الرحمة الإلهية، وكنوز الحكمة الربانية. فأينما ينظر صاحبه وكيفما يفكر يرى الحكمة الإلهية في كل شئ وكل موجود وكل حادثة، ويشاهد الرحمة الإلهية متجلية على الوجود كله، فيرقى العقل بهذا إلى مرتبة عقل مرشد رباني يهيئ صاحبه للسعادة الخالدة. [13]

ويحذر النورسي من شرور العقل إذا انفرد بموضع الأساس المعرفي للوجود بموازينه المحدودة ومنطلقاته المنفردة الخاطئة.

لماذا ؟

لأنه - في حالة الشرود - سيجعل القوة نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية، ويلتزم بالتعصب العنصري البغيض الذي ينتهي إلى الخصام والتمزق في الكيان البشري.

وبعد استقراءات عميقة واسعة للحضارة العقلية المتمردة المعاصرة، انتهى إلى أن شأن القوة الاعتداء، وشأن المنفعة هو التزاحم، وشأن الصراع هو النزاع والجدال، وشأن العنصرية هو التجاوز على الآخرين.

بينما إذا انضم العقل إلى الكينونة الإنسانية، استند حينئذ إلى حكمة القرآن الكريم، فعوض عن النظرة المدمرة للحياة نظرة أخرى راحمة، فيترك القوة ويتمسك بالحق، ويستبدل بالمنفعة الوقوف عند الفضائل ويعتمد على التعاون أساسا في الحياة بدل الصراع. وبذلك تتحقق الإنسانية في أعلى مستوياتها في ظل عبودية المخلوقات كافة لرب العالمين [14]

إن العقل بهذا المعنى الدقيق، المندمج في الكيان الإنساني المتكامل ضمن طاقاته واستعداداته المتنوعة، يحوّل الكائنات المعروضة أمامه من الأسرار الدقيقة المشاهدة في عالمي الأنفس والآفاق إلى علم كلام مفتوح، يمثل صفحة واضحة، يجد فيها المرء براهين

---

13 - الكلمات : ص 23

14 - الكلمات : ص 145

قاطعة على الخالق العظيم، ويشعر بأنس عجيب مع الكائنات كلها، لأنه يقرأ فيها فطرته التي كانت ضائعة تائهة مشوهة في بيداء ظلمات الكفر والتيه والانحراف والظلم والشرك.

وإذا رجعنا فسألنا ما رأى النورسي في المعرفة الحدسية أو الإلهامية التي تظهر بالكشف عبر الرياضة الروحية في مدارج السالكين إلى الله تعالى.

نقول، يؤمن النورسي بأصل هذا الطريق، ويقول إن وجوده يقين جازم في أخبار أهل الذوق والكشف [15]

ولكن تفاصيله ليست قطعية، إذ من الممكن أن يحصل خطأ أو تشويه في حكم من أحكامه ومشاهداته، في حالة الشهود، التي لا ضوابط ولا حدود لها. والكتاب والسنة هما الميزان لتصحيح الأخطاء. ولذلك يقول "ولا ريب أن أهل الشهود هؤلاء عندما يرقون إلى مقام الأصفياء سيدركون خطأهم بأنفسهم بإرشاد الكتاب والسنة ويصححونها. وقد صححها قسم منهم" [16]

ويبنى النورسي على ذلك أن درجة الشهود أوطأ بكثير من درجة الإيمان بالغيب. ولذلك فالكشفيات التي لا ضوابط لها لا تبلغ أحكام الأصفياء والمحققين من ورثة الأنبياء الذين لا يستندون إلى الشهود بل الى القرآن والسنة اللذين يرجع إليهما وحدهما جميع الأحوال الروحية والكشفيات والأذواق والمشاهدات[17]

وفي معرض رده على نظرية وحدة الوجود يقول: "نعم إن الصراط المستقيم هو طريق الصحابة والتابعين والأصفياء الذين يرون أن حقائق الأشياء ثابتة، وهي القاعدة الكلية لديهم. وهم الذين يعلمون أن الأدب اللائق بحق الله سبحانه وتعالى. وهو قوله "**ليس كمثله شئ**" أي

---

15 - الكلمات : ص 24 ، 157 ، 255 على سبيل المثال .

16 - المكتوبات : ص 102 والشعاعات ص 158

17 - المكتوبات : 105

انه منـزه عن لتشبيه والتحيز والتجزؤ، وان علاقته بـالموجودات علاقة الحقـائق بالمخلوقـات. فالموجودات ليست أوهاما كما يدعى أصحاب وحدة الوجود. بل هذه الأشياء الظاهرة هي من آثار الله سبحانه وتعالى"[18]

فعلـى ذلـك فـان الـصراط المستقيم، بـل صـراط الولايـة الكبـرى عنـده، إن هـو إلاّ طـريـق الصحابة والأتقيـاء والأصـفياء والتـابعين وأئمـة أهل البيت والأئمـة المجتهدين. وهو الطريـق الذي سلكه التلاميذ الأول للقرآن الكريم.

ويرفض النورسي مناهج الطرق الصوفية التي جانبت القرآن والسنة في السلوك إلـى الله تعالى ولم تنج من لوثـة الأخطـاء والانحرافات، فيقترح لذلك طريقـا قرآنيـا خالـصا مختـصرا إلـى الله تعـالى، لا شـائبة فيـه للاجتهـادات الفرديـة والإلهامـات الباطلـة، وليـست فيـه عقبـات وتعقيدات، مـن أربـع آيـات فـي كتـاب الله، تنحصر فـي خطـوات أربـع هـي: العجـز، الفقـر، الشفقة، التفكر.

فالعجز أقرب واسلم طريق إلى الله تعالى، إذ هو يوصل إلى المحبوبية بطريق العبودية.

والفقر مثله يوصل إلى اسم الرحمن.

والـشفقة كـذلك موصـل إلـى الله تعـالى، إلاّ انـه انفذ مـن الفقـر فـي الـسير وأوسـع مـدى، إذ يوصل إلى اسم الله الرحيم.

والتفكر كالعشق، إلا انه أغنى منه واسطع نورا وارحب سبيلا إذ يوصل السالك إلـى اسـم الله الحكيم.

ويستنبط النورسي هذه الحقائق من قوله تعـالى **}فلا تزكوا أنفسكم{** وقولـه **}ولا تكونـوا كالذين نـسوا الله فأنـساهم أنفسهم{** وقولـه **}مـا أصـابك مـن حسنـة فمـن الله ومـا أصـابك مـن سيئـة فمن نفسك{** وقوله **}كل شئ هالك إلاّ وجهه{.**

---

18 - المكتوبات : 106

فهذه خطوات أربع تمثل الحقيقة الشرعية، اكثر مما يعبر عن الطريقة الصوفية.

ويقول النورسي موضحا:

"ولا يذهبن بكم سوء الفهم إلى الخطأ. فالمقصود بالعجز والفقر والتقصير، إنما هو إظهار ذلك كله أمام الله سبحانه وليس إظهاره أمام الناس".

أما أوراد هذه الطريق القصير وأذكارها فتنحصر في اتباع السنة النبوية والعمل بالفرائض، ولا سيما إقامة الصلاة باعتدال الأركان والعمل بالأذكار عقبها وترك الكبائر" [19]

إذن فالإلهام عنده ليس مصدرا مستقلا عن الوحي الإلهي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إنما تأتي إشراقته ببركتهما وقوة الالتزام بأحكامها.

لماذا؟

لأن الوحي الإلهي هو الأساس في الوجود، عقيدة وشريعة وسلوكا، فإذا كان للحس مجاله، وللعقل مجاله، في عالم الشهادة وفي قيادة الإنسان إلى الله تعالى، والوقوف عند حافة دقائق وحقائق عالم الغيب. فما بعد تلك الحافة الى العمق مجاله غيب، لا يحيط به إلا علم خالقه سبحانه. فحتى تتكامل معرفة الإنسان بحقائق الوجود كله، أمده الله تعالى بالنبوة وجعلها مصدر الحقائق النهائية عن طريق الوحي الإلهي.

ويؤكد النورسي أن التحول الحقيقي في حياة الإنسان يبدأ من هذه النقطة الخطيرة. لان معنى "أنا" في الإنسان يتحول إلى معنى في غيره، وان وجوده يقوم بوجود غيره. لأن مالكيته للأشياء وهمية أي أن له مالكية موقتة ظاهرية بإذن مالكه الحقيقي. وحقيقته واحدة حقة، وظيفته القيام بطاعة مولاه طاعة شعورية كاملة ميزانا لمعرفة صفات الله خالقه ومقياسا للتعرف على شؤونه سبحانه.

---

19 - الكلمات : ص - 560 ، 561 كانت حياة النورسي تمثل هذا الفقر وذلك العجز تمثيلا صادقا. فلقد كان يذوب في عبودية الله وطاعته، مع انه كان طودا شامخا أمام الطغاة والمتجبرين.

أما الوجه الثاني لـ "أنا" الذي يرى نفسه في نفسه عكس ذلك، أي انه يرى أن له ماهيته الحقيقية في ذاتها وليس من خالقها. أي يدل معناه على نفسه لا في غيره، ووجوده أصيل، لا تبعي. ومالكيته حقيقية لا وهمية، ووظيفته عبادة نفسه لا خالقه. هذه "أنا" المتمردة الشاردة هي التي أنتجت فلسفة مظلمة شريرة ضالة، تعمل لأجل نفسها لا لغيرها، أي تعمل بمعزل عن الوجود الحقيقي والمالك الحقيقي. ومن هنا فإنها لم تلتق بالنبوة ورسالاتها، ولم تكن بخدمتها والكشف عن أهدافها. [20]

فإذن إذا أردنا أن تنتفي هذه المظلمة الشريرة الضالة، فلا بد أن نملأ الفراغ الأخير من سلسلة المعرفة. وهو فراغ الغيب الذي لا يستطيع الحس والعقل أن يجيب على حقائقه إلا الوحي الإلهي الذي انتهى بالوحي الخاتم الكامل لرسول الله ρ، والذي جسد الله تعالى فيه الكمالات الإنسانية المنبثقة من أسمائه الحسنى ، فهو القدوة والأسوة. لأن أصول الدين وأسس التربية التي جاء بها الرسول الكريم ρ هي من الرسوخ والكمال مالا يمكن أن يحرز نورا ولا كمال قط من يدعها ويتركها بل يحكم عليه بالتردي والسقوط المطلق إذ الرسول ρ خاتم النبيين وسيد الأنبياء والمرسلين وإمام البشرية بأكملها في الحقائق كلها" [21]

ولما كان الرسول الأكرم ρ هو الآية الكبرى كتاب الكون الكبير، لذلك لا يحتاج معه في التعرف إلى عالم الغيب غيره من مصادر المعرفة المادية، بل إننا بتلك المصادر نثبت ذلك البرهان الحق، إذا استعملنا موازيننا بإنصاف واتزان وتعقل. لأن القرآن الناطق فيه النور كله والدعوة كلها والحكمة الصائبة كلها، وحقائق جواهر المعاني جميعها. [22]

---

20 - الكلمات : ص 637 وما بعدها.

21 - الكلمات : ص 641 ، 643

22 - الكلمات : 254 - 268 واللمعات : ص 196

هذا النبي الخاتم برهان. وجوده أيد النور الذي جاء به، وهو القرآن الكريم الذي يصفه النورسي بفكره العميق النير، وبلاغته الواضحة النادرة فيقول:

"هـو الترجمـة الأزليـة لهـذه الكائنـات. والترجمـان الأبـدي لألـسنتها التاليـات للآيـات التكوينية، ومفسر كتاب العالم. وهو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة. وكذا هو خزينة المخاطبات السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية. وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي وكذا هو خريطة للعالم الأخروي. وكذا هو قول شارح وتفسير واضح وبرهان قاطع وترجمان ساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه. وكذا هو مربّ للعالم الإنساني. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية.. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر. وهو المرشد المهدي الى ما خلق البشر له. وكذا هو للإنسان: كما انه كتاب شريعة كذلك كتاب حكمة. وكما انه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة. وكما انه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر وكما انه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية. كذلك هو كمنـزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل. حتى انه ابرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين، رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره ولمساق ذلك المسلك وتصويره، حتى كأنه مجموعة الرسائل" [23]

ولو رجعنا إلى الفلسفة الجامدة البشرية التي تتحرك بين المصدرين، الحس والعقل ولا تتجاوزهما ولا تؤمن بما وراءهما، نجد أنها تنظر إلى الدنيا على أنها ثابتة، فتذكر ماهية الموجودات وخواصها ذكرا مفصلا مسهبا، بينما لو ذكرت وظائف تلك الموجودات الدالة على صانعها فإنها تذكرها ذكرا مجملا مقتضبا. أي أنها تفصل في ذكر نقوش الكون وحروفه، في حين لا تعير معناه ومغزاه اهتماما كبيرا.

---

23 - الكلمات : 264

أما القرآن الكريم فانـه ينظر الـى الدنيا علـى أنهـا عـابرة سيالة، خداعـة سيارة. متقلبـة لا قرار لهـا ولا ثبـات. لـذا يـذكر خـواص الموجـودات وماهياتهـا الماديـة الظـاهرة ذكـرا مجمـلا مقتضبا، بينما يفصل تفصيلا لدى بيانه وظائفها التي تنم عن عبوديتها التي أناطها بها الصانع الجليل. ولدى بيانه مدى انقياد الموجودات للأوامر التكوينيـة الإلهيـة، وكيـف وبـأي وجـه مـن وجوهها تدل على أسماء صانعها الحسنى.[24]

ومن هنا فان النورسـي لا يـؤمن بالمعرفـة الجزئيـة التـي كانـت تعـالج بمعـزل عـن القـرآن الكريم. وكان يعدها من نقائص العقل البشرى، بينمـا هـو يعكس القضـية، فينطلـق مـن القـرآن إلى التوغل في جزئيات الوجود. فهو بذلك طريـق أمـين. إذ فـي الأول قـد يضـيع الباحـث عـن الحقيقة ويخرج على المحور. وأما في الثاني، فالمحور واضح وأرض صلدة. فلا خوف علـى من يبدأ بالقرآن، لأنه شجرة تمثل جميـع الأغصـان، علـى حـين أن الأفكـار البشـرية أغصـانها منفـردة .[25]بسـبب أن القـرآن الكـريم جمـع بـين القـيم التـي تنبثـق مـن أسـماء الله الحسـنى جمعـا متوازنـا متسقا لا تنفصم عـراه. بينمـا الأفكـار البشـرية تعـرض القيم عرضـا منفـردا متـأثرة بالزمان والمكان. فما يكون قيمة لا يعود في زمان آخر. وما يعمل بـه فـي مكـان قد يتـرك فـي مكان آخر لتغلب المصلحة الذاتية والظروف المتقلبة.

فإذا كـان ذلـك كـذلك، فـان طريـق القـرآن الكـريم هـو وحـده الـذي يوصـل إلـى الله سـبحانه، لأنـه اقـرب الطـرق إلـى إثـارة الفطـرة الإنسـانية وتحريـك العقـول الباحثـة والقلـوب العـامرة بالتوثب الدائم، وأكثرها انطباقا على آيـات الأنفس والآفـاق،[26] لأن الوجـود قـرآن واحـد بثلاثـة وجوه.

---

24 - الكلمات : 508

25 - الكلمات : 425

26 - المثنوي العربي النوري ص 428

إذن فأصول المعرفة التي آمن بها النورسي، هي الأصول القرآنية التي يأخذ بعضها برقاب البعض الآخر من الحس والعقل، لكن في اندماج قرآني واحد.

وهذا هو الذي دفع النورسي أن يرسم في رسائله منهجا قرآنيا راسخا، لا يرتبط بمرحلة معينة ولا برهان معين. وإنما هو المنهج الذي يشكل السقف المتين فوق تاريخ الأمة الإسلامية، لكن بلغة العصر وصراع العصر في مواجهة العصر.

وهذا هو سر نجاحه في دعوته الإسلامية لإنقاذ الإيمان في هذا العصر، لأنه لم ينطلق من مناهج تاريخية ضيقة كانت تشكل صراعات ماضية بين الحضارة الإسلامية والحضارات الغازية، والتي استنفدت أغراضها في العصر الحديث، وظهرت مكانها مشكلات داخلية وخارجية، عدم معالجتها بعمق وعصرية يشكل خطورة كبيرة على مستقبل العالم الإسلامي. وإنما انطلق من "الكل القرآني" الذي يقرأ الكون ببراهينه الثلاثة، برهان الكون المنظور "الكائنات" وبرهان الكون المقروء "القرآن الكريم" والبرهان الناطق "رسول الله" ρ.

من معالم التجديد عند النورسي

بحث مقدم إلى ندوة "تجديد الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر للهجرة جهود بديع الزمان النورسي" المنعقدة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة محمد الخامس بالرباط في 17-1999/3/18

درستُ رسائل النور دراسة دقيقة في الأقل مرتين كاملتين ، فكتبتُ في ضوئهما كتابي "النورسي متكلم العصر الحديث"[27] وقدمت لكتاب النورسي النفيس " الآية الكبرى" ولكتابه القيّم "إشارات الإعجاز" وألقيت محاضرات علمية عنه وعن أفكاره وعصره في أقسام الدراسات العليا في كلية الآداب بالرباط وكلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد، واستمعت الى البحوث العلمية المتنوعة التي ألقيت في مؤتمري فكر النورسي في اسطنبول عام 1995 وعام 1998م ثم قرأت كتباً وأبحاثاً حوله كُتبت في العراق وغير العراق، فتحصل عندي أن الإمام النورسي من أكابر المجددين، ليس في العصر الحديث فحسب، بل في تاريخ الإسلام كله، ولا سيما في عصرنا، عصر الفتن الكبرى، وعصر النكبة والهلاك عصر نهاية التراجع الحضاري الإسلامي، عصر سيطرة الغرب على توجيه الحركة الحضارية في العالم الإسلامي، مباشرة أو غير مباشرة، عصر التمزق والهزيمة الكبرى للمسلمين أمام النظام السياسي والعسكري والحضاري الغربي، عصر تأسيس دولة اليهود الباغية العدوانية في قلب العالم الإسلامي المقدس "فلسطين" عصر إعلان اللادينيات المختلفة في أنحاء العالم الإسلامي كله.

27- صدر في القاهرة عام 1995م

لقد كان الإمام سعيد النورسي إبن زمنه البار، استوعب الأفكار، واستخلص العبر، وتعمّق في فهم المأساة، وعرف طرق الإفساد، واطلع على أسباب التمزق والفرقة، وراقب مسرحية الانتقال الخبيث من المنظومة الإسلامية إلى المنظومة الغربية اليهودية الصليبية الإلحادية، مع تفهم حقيقة المرحلة، وطبيعة المؤامرة، وتطور الأحداث في تركيا والعالم الإسلامي برمّته. فكان ذلك المجدد الذي عبّر عن عصره، تعبيراً شمولياً متوازناً ابتداءً بنمط شخصيته، وانتهاءً بالمخطط المتكامل الذكي في الوسيلة والغاية التي اتبعها، من خلال مادته المعرفية العلمية الغزيرة، لإحداث هزة عنيفة عميقة في كينونة الإنسان مسلماً أو غير مسلم، في عقله وقلبه وروحه ونفسه.

أما نمط شخصيته فهو شخصية فريدة في تربيته ونظافته، وذكائه الخارق وصلابته وعزته وأنفته وتوكّله ورضائه وزهده.

وأما شخصيته في كشف الوجود وأعماقه، وتذوقه لجماله الباهر وجلاله الأخّاذ، في دائرة الطاقة البشرية، فهي عبقرية تقترب من نهايات الولاية العظمى في مستويات الأولياء العظام من غير الأنبياء والمرسلين. أي انه شخصية ذابت في حب الكون وما فيه من مخلوقات الله سبحانه تعالى، التي تدل على توحيد الخالق، وعظمة وقداسة أسمائه الحسنى التي أنارت الوجود من الذرات إلى المجرات. وبمقابلة ذلك الحب العظيم فإنه شخصية صمدت بمواقف حاسمة بوجه قوى الشر الشيطاني، التي تقود ظلام الشرك المطلق في هذا العصر.

أما مادته المعرفية التي كان يمتلكها، فقد دفعته الى أن يعالج بنفسه كل جزئية من جزئيات الانحراف في المجتمع الإسلامي والإنساني على السواء، كي يعيدها إلى الفطرة والتوازن والعبودية الخالصة لرب العالمين، والابتعاد النهائي، ولو معرفياً، عن موكب الشرك والمشركين بقيادة الشيطان الرجيم وأوليائه المتآمرين على فطرة الوجود من الإنس والجن.

وقارئ رسائل النور يدرك هذا تمام الإدراك، ويستطيع أن يميّز مؤلفها الإمام النورسي عن بقية المجددين في زمانه، كالأفغاني ومحمد عبده ومحمد إقبال وحسن البنّا وعبد الحميد بن باديس رحمهم الله تعالى. فهؤلاء لم تُلجئهم ظروفهم الزمانية والمكانية الى معالجة كل جزئية من جزئيات الإسلام بأدلتها التفصيلية وقواعدها المنطقية، ولا ردّوا كل الشبهات المثارة في زمانهم حول الإسلام، ولا دخلوا في صراع فكرى تفصيلي مع الكفر، وإنما حددوا المنهج والتوجّه والحركة، وبيّنوا أسس الفكر الإسلامى الحديث، وتركوا لأتباعهم الكثيرين القيام بمثل تلك الدراسات والمواجهات والمعالجات.

بينما الظروف "الزمكانية" للشيخ النورسي جعلت منه فارس الميدان الوحيد بحيث ملأ مجتمعه علماً وتوجيهاً ومعالجة ومعارك فكرية، استعمل فيها عبقريته العلمية، ومادته المعرفية، وخصص لها كل ما أوتي من الفكر والحكمة والشجاعة والإقدام.

ولاشك أن عزلته ووحدته وسجنه والإقامات الجبرية الدائمة التي فرضت عليه، كانت سبباً مهماً من أسباب هذا التوجه والتي نقت قلبه وصقت فكره، وأدمجته بأعماق الوجود الكونى والإنسانى.

أما مخططه المتكامل فيظهر من معالم التجديد الآتية في حياة النورسي:

- انه تلميذ أمين من تلامذة القرآن الكريم، لا يتبع التجربة الصوفية الضيقة، ذات النفق الواحد، حتى في قمة صفائها، ولا يعدّها مصدراً مناسباً من مصادر المعرفة التي يمكن أن تواجه اكتساح الحضارة الغربية المادية المعاصرة لحياة ملة الإسلام والإنسانية فالعصر ليس عصر التصوف وإنما هو عصر إنقاذ الإيمان والإسلام[28].

---

28 - اللمعات: 245، 246 . المكتوبات: 79

ولا يتبع فهم الفلاسفة الذين يسلمون أنفسهم للعقل وحده، فيتيهون عبر طرق ملتوية في جبال وعرة، وإنما يذهب إلى النبع الصافي مباشرة، ويأخذ معه الجيل كله، ليشربوا من الماء الصافي النمير بلا كدورة الأرض ولا المواد المختلطة بها عبر التضاريس المتنوعة .[29]

ويرفض منهج المتكلمين السابقين الذين كتبوا لعصر غير عصره، من حيث المعالجة والمواجهة وطبيعة المادة المعرفية، وإنما يستقي أدلته من عالم الأنفس والآفاق على أصول العقائد الإسلامية. [30]

يقول النورسي: "فطريق المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، لا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه الى الله وأشمله لبنى الإنسان ونحن قد اخترنا هذا الطريق".[31]

ومن الجدير بالذكر أن منهج النورسي هذا لا يصطدم مع أي منهج من تلك المناهج مباشرة، وإنما يستطيع صاحب كل طريق الاستفادة منه، من خلال عرض منهجه المتفرد.

وهو لا ينقل لهم في منهجه ذلك علماً مصطلحياً محدوداً، وإنما ينقل لهم كيانه القرآني في تجربة كونية معرفية خصبة جداً، فانية في القرآن الكريم، ليقدّم من خلالها مشاعره المتأججة وآلامه المحرقة، حتى يهتاجوا كما اهتاج هو، ليحصل لهم اندماج ربانى كامل في الوجود، من اجل إعادتهم إلى صف العابدين لخالق الكون ومبدع الوجود.

لقد أراد النورسي أن يدفع المسلمين إلى قلب القرآن في إطار الصراع الحضاري المعاصر، من خلال تفسير شهودي لكتاب الله سبحانه وتعالى. يشمل ثلاث قراءات متطابقة:

قراءة الكون الرحيب من خلال تجليات أسماء الله الحسنى،

وقراءة القرآن الكريم في ضوء تلك القراءة،

---

29 - الكلمات: 639

30 - انظر كتابي " النورسي متكلم العصر الحديث "ص 110 ومابعدها.

31 - صيقل الإسلام – المحاكمات ص 122

وقراءة سيرة الرسول العظيم ρ، حتى يستطيع أن يعيش مع أرقى نموذج مخلوق بعثه الله تعالى قدوة أعلى ومثلاً واقعياً للكائن الحي في عوالم الإمكان.

وفي ذلك، كان النورسي صاحب إدراك عميق بحقيقة تجديد الإسلام، في هذا العصر.

إنه مجدد حقاً، لأنه لا يدعو إلى النكوص إلى الوراء، ولا سحب التاريخ الماضي بتفاصيله إلى الزمن الجديد، وإنما يؤمن أن الفكر الإسلامي بروافده يمكن أن يتجدد في هذا العصر، وفي كل عصر قادم، حسب المستوى الحضاري الذي وصل إليه.

لقد هضم النورسي المعارف الإسلامية بأدق أجزائها، والمعارف الكونية العلمية بتفاصيلها، ولم يعرضها كما يعرضها العلماء التقليديون، ولكنه تسلسل بجزئياتها خلف قراءاته الثلاث، ليخرج للجيل نمطاً من الحديث يدخل في كينونة الإنسان بسهولة و يسر، من اجل انتشاله من وهدة الإلحاد والمادية واللادينية إلى سوح الإيمان الرحب والشريعة السمحة والقيم المنبثقة من الصفات الإلهية.

لقد دفعت الظروف القاسية التي أحاطت بالنورسي ومجتمعه، تلك التي أراد فيها أعداء الإسلام فرض الإلحاد واللادينية بقوة التصفيات الجسدية الجماعية، والإعلام الوحيد الكذوب، والثقافة المخزية ذات البعد المظلم على الناس، إلى اتجاه معرفي كلامي جديد. وهو إيجاد علم كلام جديد، ينقل من خلاله علم التوحيد من نظريات عقلية مجردة، ومناقشات منطقية جافة إلى أسلوب جديد يصوغ حياة المسلم صياغة ربانية، تقود إلى المعنى الحقيقي للتوحيد بكماله من حيث هو خالق ومعبود وحاكم مطلق في الوجود.

لقد استطاع النورسي أن يحدد المشاكل الكبرى في حياة الأمة الإسلامية والإنسانية، فعالجها معالجة قرآنية من خلال أدلتها التفصيلية العقلية الفطرية، فحوّل عقيدة التوحيد بذلك إلى حياة مفعمة بمعاني الإخلاص والاستقامة والتضحية والسلوك والتربية الجماعية، فنجح نجاحاً باهراً في إلحاق الهزيمة باللادينية في نفوس ملايين من الناس في تركيا في زمانه، وفي العالم بأسره بعد وفاته، عندما تُرجمت رسائله إلى لغات العالم الحية، فبدأت تغزو

العقول والقلوب ليتوجه بها إلى ربّ العالمين، ويعيد الخطاب في المجتمع الإسلامي والإنساني إلى الله تعالى بعد أن حوله الملاحدة واللادينيون في العصور الأخيرة إلى الإنسان وحده.

إذن كان النورسي يعمل في العصر بتخطيط وعلم وقدرة وذكاء، ولم يكن ككثير من علماء زمانه يعيش في متحف التاريخ.

والآن لنعرض قضايا تفصيلية من خطته في تجديد الحياة الإسلامية في تركيا والعالم الإسلامي، وإنقاذ الإيمان الإنساني وانتزاعه بالبرهان العلمي والعقلي من بين براثن المادية التي كانت تجتاح العالم يومئذ.

* يعتقد النورسي أن التغيير الشامل في الحياة الإسلامية، لا بد أن يبدأ من البنى التحتية؛ المعنوية منها والمادية، وليس بوصفات مؤقتة لملأ الثغرات الخطيرة في البنيان الفوقي، أي إن التجديد يجب أن يدخل في الخلايا العميقة حتى تسترجع الأمة عافيتها. فاللادينيون ما تمكنوا من المجتمع التركي إلا من خلال فراغ داخلي في الأعماق. يظهر ذلك في ضعف الدين، وانحراف العقل وخواء الروح واضطراب الأحوال والهزائم النفسية.

وكان النورسي على يقين تام أن إصلاح الأعماق سيؤدي إلى وحدة العقيدة ووحدة الأفكار، ووحدة الصف ووحدة القلب ويقظة العقل، واستقرار الأحوال، وهو الذي سيحض المسلمين ويوقظهم أمام الحضارة الغربية التي أتتهم بعقيدة جديدة وأفكار جديدة. [32]

وهذا المنهج هو الكفيل بإخراج المسلمين من المنظومة الإلحادية المادية إلى المنظومة الإيمانية الإسلامية بمعناها الشامل، وهو منهج الإسلام وطريقه، وهو منهج وطريق مستقل عن الوجود والحياة، يختلف اختلافاً جذرياً عن مناهج الغرب المادية والروحية الكنسية.

وفي سبيل النجاح الأكيد في هذا الحوار الحضاري، واجه النورسي الحضارة الغربية في مواجهتها للإسلام والقيم الدينية والأخلاقية مواجهة تفصيلية. فالقضايا التي أثارتها

---

32 - صيقل الإسلام – الخطبة الشامية

الحضارة الغربية أجاب عنها، واظهر بأدلة واضحة أن الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً، كان أعمق في معالجاته لتلك القضايا وأقرب إلى الفطرة الإنسانية وأكثر انسجاماً مع قوانين الحياة.

ونجاح النورسي في هذا الحوار ينطلق من أن رسائله النورية، سلكت مسلك الحوار، مع النفس والعقل والروح والقلب، ومع الآخرين من البشر على اختلاف أديانهم، بل الدخول في الحوار مع الوجود كله، من الذرة إلى المجرة إلى الكون كله.

وقد يقول قائل كيف يدخل النورسي في الحوار العقلي مع الغير وهو ينكر الفلسفة أساساً؟.

نقول: إذا نظر القارئ نظرة سطحية تجزيئية إلى ما كتبه النورسي حول الفلسفة، قد يأخذه ظاهر عباراته العامة إلى تأكيد معاداته المنهج الفلسفي. بينما إذا قرأ ما كتبه الأستاذ بدقة في رسائله حول الفلسفة، توضّح أمامه الأمر، لأنه لا يرفض المنهج الفلسفي مطلقاً، وإنما هو يقسّم الفلسفة إلى قسمين، قسم يعدّه فلسفة مؤمنة صالحة تتفق مع حقائق القرآن الكريم، فهذا لا يرفضه. وقسم آخر عبارة عن فلسفات مادية جاحدة تصطدم مع المبادئ الإسلامية، فهذا الذي يرفضه الأستاذ. وكيف يرفض النورسي الفلسفة الصحيحة، وهو الذي ملأ رسائله بالأدلة المنطقية، وأدلة العلم التجريبي في إثبات حقائق القرآن الكريم والسنة النبوية، فجعل بذلك الحس والعقل مصدرين مهمين من مصادر المعرفة في الوجود .

وأما الجانب الآخر من أفكاره التجديدية، فهو دمجه أنصبة البشر من أسماء الله الحسنى في الصراع الحضاري المعاصر في العالم الإسلامي، لاستخلاص المبادئ الأساسية، والشروط الواجبة للنجاح المضمون في عملية إنقاذ المسلمين من براثن المادية المعاصرة، وبنائه على جزئيات تجليات تلك الأسماء المقدسة في الوجود.

إنني أستطيع أن أجزم أن النورسي بنى رسائله كلها على تلك التجليات. من خلال قراءته الكون، لأنه انطلق من الاقتناع الكامل بأن الله تعالى ما ذكر في القرآن الكريم أسماءه

الحسنى، إلاّ لكي يأخذ الإنسان منها نصيبه في إطار بشريته، سواء في مجاله الفردي أم في بنائه الاجتماعي. إنه لم يبيّن تلك كما فعل ذلك الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه النفيس "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" وإنما أدمجها في تفاصيل الصراعات الحضارية بين الإسلام وغيره من المبادئ والأفكار، منبهاً إلى أن الإنسان إبتداءً من أسرار نفسه وأعماق حياته الى جزئيات الكون الواسع، إن لم يتلق معاني تلك الأسماء في حياته لتنورها، فإنه سيعيش في الفساد المطلق والشرك المطلق والمادية المطلقة.

ومن هنا نجد انه يعالج قضايا العقيدة والشريعة والأخلاق وتفاصيل النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعسكري والتربوي وغيرها، في ظل مقدار التمثل لتجليات تلك الأسماء المباركة، لأن الكون في فطرته، ومن خلال كل خلية من خلاياه، يسير في ضوء تلك التجليات، وبدونها قط لا تقوم للكون والإنسان والوجود قائمة. لأن الموجودات كلها إنما هي مظاهر لتلك التجليات، بحيث لا تدع مجالا للغفلة، بل تكسب متأملها مرتبة واسعة من الاطمئنان بسعة الكون، وتفتح أمامه عبودية واسعة ودائمية سعة الكون كله. وهذه الروحانية الوجدانية من جهة، أرقى للحصول على الطمأنينة من بعض أرباب الطرق الصوفية الذين وصلوا إلى الفناء بإنكار الكائنات أو نسيانها. ومن جهة أخرى فإنه اقصر طريق في الوصول إلى الخالق العظيم، لأن هذه الأسماء متعاضدة تتجلى وتشترك في إحداث وإنارة كل ذرة من ذرات الوجود.

فكل اسم له فعل في جانب، فقد تشترك صفات القهر والرحمة والعدل والحكيم والحفظ في تنوير وجود فعل لا يمكن ان يفسّر إلاّ عند من يتصف بتلك الأسماء، وليس هنالك في الوجود من يتصف بشمولية تلك الأسماء الحسنى وعملها المتوازن في تنسيق كامل إلا الله سبحانه وتعالى الخالق.[33]

---

33 - الكلمات 290،749

- وهنالك ناحية أخرى تجديدية، يتسم بها المنهج النوري، وهو تجديده في أسلوب الدعوة إلى الله تعالى، وهو عدم الدخول في تصادمات وصراعات داخلية مع التيارات الإسلامية الأخرى وتوجيه الجهود الدعوية كلها إلى الجاهلية المعاصرة، التي كانت تتمثل في زمانه بحركة الزندقة اللادينية التي فرضها الطغاة بقوة الحديد والنار على المجتمع التركى، بل إن معرفة طبيعة العصر جعلته ألاّ يتخذ موقفاً معادياً دعوياً أو سياسياً معيناً تجاه الدعوات والجماعات السياسية الأخرى، بل وجّه إليهم الدعوة جميعا، لأنهم في رأيه يدخلون جميعا في دائرة ملة الإسلام، على الرغم من أخطائهم المنهجية وانحرافاتهم السياسية . [34]

ومن هذا المنطلق، فإنه قط لم يدعُ إلى الثأر للنفس على الرغم من الظلم الذي تعرض له، هو وطلابه. وإنما كان يدعو إلى الثأر للإسلام، والثأر للإسلام في هذا العصر، لا يكون بالقوة والغضب، وإنما يكون بالحكمة والشفقة والرحمة وتبليغ دعوة الإسلام وإنقاذ الإيمان. ومن المعلوم أن إنقاذ الإيمان عند النورسي يعنى إنقاذ الإسلام من حيث هو كلّ لا يتجزأ من مخططات الملاحدة والعلمانيين .

يقول النورسي موجهاً طلابه إلى هذه المسألة الخطيرة في الدعوة الإيجابية: "إن واجبنا نحوهم طلب الهداية لهم فحسب، فلا يرد في قلب أي طالب من طلاب النور الثأر ولو بمقدار ذرة، بل أوصيهم دائما مقابل ما لاقوه من العنت الثبات في خدمة رسائل النور والوفاء بها" . [35]

وانطلاقا من منهج دعوته "حسن الظن أساس بالنسبة إلى المسلمين" اجتنب عن تكفير أحد حيث يقول:

34 - الشعاعات:424

35 - المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي الثالث – بحث العمل الإيجابي القاعدة الثابتة لعمر مديد – للدكتور علاء الدين باشار ص135.

"إن من يعرف "سعيد" عن كثب يعلم أنه يتجنب تكفير الآخرين تجنبا شديداً ما استطاع إلى ذلك سبيلا، بل يحاول أن يجد تأويلا حتى لو رأى كفرا بواحا" [36]

ومن جهة أخرى فان دعوة النورسي قامت على أساس إنكار الذات والتواضع، والإخلاص وعدم اللهاث وراء الشهرة وحظوظ النفس وراء الدنيا، والدعوة بالحسنى وعدم الإخلال بالمحبة والوحدة. وعدم تضييع الوقت بالجدل والنقاش الفارغ، والاشتغال بالأصول ثم التدرج إلى الفروع، والحركة إلى الأمام دائما وعدم الفتور وعدم الاشتغال إلا بقضية الإسلام المركزية والصبر على المصائب، ومحاولة تكوين وضع اجتماعي آمن واجتناب السياسات اليومية الفاسدة.

ولقد ربى النورسي في مجال الدعوة طلابه على الأمل بدل اليأس والتبشير بدل التنفير أساسا لها.

إنه يشبّه مخافة الله بلجوء طفل إلى حضن أمه المليء بالشفقة. وهذه الخاصية استنبطها من أسماء الله تعالى، الرحمن، الرحيم، الرؤوف.

والدين عند النورسي شئ طاهر ونظيف ولا يجوز استخدامه بزعم مصلحة الدعوة بشيء سيء أبداً.انه لابد أن يبقى صافيا طاهرا بعيدا عن الحقد والمذهبية والطائفية والسياسات الآنية، كي ينهل منه الشاردون، ويرجع إليه الضالون، ويتضلع منه المؤمنون، كل على قدر حاجته، وما قدّر الله له.

- وهنالك جانب آخر من الحركة التجديدية لهذا الشيخ الجليل، وهو إنقاذ الجيل من براثن المتصوفة المنحرفين، الذين قادوا الأجيال إلى الركون والسكون تحت مظلة السير إلى الله تعالى بلا عودة، بينما السابقون من الأولياء الربانيين كانوا يسلكون الطريق إلى الله من أجل العودة إلى الأرض، وهم اكثر إيمانا وقوة وعزما وأقداما في القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

---

36 - المصدر السابق ص135 .

نعم اثبت النورسي للجيل المثقف الحالي والقادم أن العصر ليس عصر التصوف، لأن التصوف تجربة ذاتية وليست دعوة اجتماعية، ولا يستطيع أن يقود حملة الصراع الحضاري الإسلامي مع عوامل النكوص والانحراف ومع هجمة اللادينية المادية الحديثة والزندقة الآتية من الغرب الكافر.

يقول النورسي: "لقد كنت أقول أن هذا الزمان ليس زمان الطريقة فالبدع تحول دون ذلك، مفكرا في حقائق الإيمان وحدها. ولكن الزمان اظهر انه يلزم لكل صاحب طريقة بل الألزم له أن يدخل دائرة رسائل النور التي هي أوسع الطرق".

لماذا ؟ يجيب الأستاذ :

" إن اخطر شئ في هذا الزمان هو الإلحاد والزندقة والفوضى والأوهام وليس تجاه هذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق القرآن الكريم". [37]

وموقف النورسي من التصوف واضح في رفضه لمدارج السالكين الطويلة ولنظريات وحدة الوجود ووحدة الشهود والحلول وتقديس المشايخ، داعياً إلى الرجوع إلى أوراد السنة النبوية الشريفة . [38]

- ومن معالم النورسي التجديدية، أنه ركز على وحدة المجتمع الإسلامي، وعارض الإخلال بنظامه الداخلى، واستعمال العنف في سبيل زعزعة أركانه، تحت مظلة إعلان الجهاد على الكافرين اللادينيين. وأكد ان الجهاد في الشريعة لا يوجّه إلى المسلمين داخل العالم الإسلامي، وإنما يوجه إلى العالم الخارجي. أما في داخل العالم الإسلامي فإن الجهاد يكون جهاد دعوة وعلم وبذل ونصيحة لإعادة المسلمين الى حظيرة الإسلام حسب قانون التدرج الكوني . [39]

---

37 - الملاحق ص 344

38 - الملاحق- قسطموني 208

39 - اللمعات- اللمعة الثلاثون – ولاسيما النكتة الخاصة باسم " الحكيم" .

إن الحرب التدميرية داخل العالم الإسلامي يؤدى الى قتل المسلمين بعضهم لبعض، وينتهي إلى سلب الاستقرار من العالم الإسلامي، فيعيق بذلك نهضته العلمية والعمرانية التي هي مقدمة مهمة لتقدم العالم الإسلامي وهذا التخريب لا يستفيد منه غير الأعداء الكافرين على المدى البعيد.

يقول النورسي: "إن من يشق طريقا في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع أعماله لأجل التخريب والشر" .[40]

والحق أن هذه السياسة الحركية قد أنتجت ثماراً يانعة في تركيا، إذ في ظلها انتشرت رسائل النور، وغزت العقول والقلوب وانتهت إلى جهاد معنوي كبير وشامل انتهت إلى تكوين جيل مؤمن انطلق في المجتمع ينشر حقائق الإسلام بالتلمذة على رسائل النور في المدارس ودورات تحفيظ القرآن والمدارس الابتدائية والثانوية والجامعات والمؤسسات الثقافية والعلمية، بالنظر أو الاستماع إلى الإذاعات المرئية والمسموعة وقراءة الجرائد اليومية السياسية والعلمية والمتخصصة في شؤون الحياة المختلفة .

بينما لو أن النورسي واجه السلطة يومئذ بالتحدى والعنف، لكان يواجه بالعنف والتصفية الجماعية له ولمن يسير معه، واستمرت المحنة زمنا طويلا، ولم نكن نرى تلك النتائج الباهرة التي ذكرناها قبل قليل.

* وهناك جانب تجديدي مهم في دعوة النورسي الإسلامية في تركيا. وهو تأكيده على أن الصراع بين العالم الإسلامي والعالم الغربي اليوم، ليس صراع القوة والسيف. لأن الإفلاس الغربي الفكري سيولد فراغا هائلا في الغرب. ومن هنا فان جهاد المسلمين للعالم الغربي يجب أن يكون جهاد فكر وشرح لحقيقة الإسلام لهم. والدليل على ذلك أن طلائع دخول الغرب للإسلام قد ظهرت، لكون الصراع في هذا الزمان ليس صراع قوة، وإنما هو

---

40 - اللمعات ص 160 .

صراع ثقافي وفكري. أي أن المسلمين عليهم أن يواجهوا الغرب بسيف القرآن، إذا أرادوا هداية شعوبه الى نور الإسلام.

والحق أن إدراك النورسي السديد لحقيقة الصراع المستقبلي بين المسلم والعالم دفعه إلى توجيه رسائله ليس إلى المسلمين فقط، وإنما إلى الإنسان في أي مكان من حيث العموم. فقد عرض الإسلام ومشكلات العالم الإسلامي، لاسيما الصراع بين الإيمان والكفر وكأنها مشكلات الإنسانية جميعها.

أجل كانت دعوة النورسي موجهة إلى الغرب والإنسانية أيضاً لأنه:

- يثبت الإيمان عن طريق نتائج العلم الذي يفهمه الغربيون.

- وينقد مساوئ الحياة الغربية ومناوأتها للدين.

_ ويرد على الاعتراضات الفكرية ضد الدين والتي خرجت أساسا من الغرب.

_ ويضع نظما فكرية في المجالات التي يفهمها الغربيون . [41]

* ومن معالم التجديد في حياة النورسي، اهتمامه الكبير بالتوجه العلمي والتقني للأمة وبالسير على نظام اقتصادي متوازن، من اجل الوصول إلى البناء السليم للأمة وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى. فالإسلام بأمس الحاجة إلى إعلاء كلمة الله، ليس بالكلام فحسب، وإنما بصياغة حياة الأمة الإسلامية صياغة ربانية في ظل طاعة الله. ولا تستطيع الأمة المحافظة على عزة الإسلام وإعلاء كلمة الله، إلا بأن تعيد بناءها العلمي والتقني والصناعة التخصصية، بتحكيم دستور تقسيم العمل وإبعاد العشوائية والفوضى من حياتها.

وأما في مجال الاقتصاد، فان النورسي يقدم مخططا دقيقا وعميقا لإيصال الأمة إلى نظام اقتصادي متوازن، من الممكن أن نسميه بـ "اقتصاد القناعة" مع الحركة الدائبة في الحياة والاشتغال بالحرف التي توافق قابليات واستعدادات الناس . [42]

41- الدعوة والإرشاد في الغرب – سعيد إبراهيم – بحث ضمن المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي ص 185 .

هذه بكثير من الإجمال والاختصار، هي معالم فكر النورسي التجديدي. قادها منهج أصولي شمولي عصري، متكامل متوازن، مع قدرة ذاتية فائقة في التخطيط والحركة والاجتهاد، مستندة الى فهم عميق لأصول الإسلام وفروعه ومعركة ذكية بتطور الزمان العالمي، وملامح عصره ومجتمعه ومشكلاته المستعصية، وكيفية علاجها بالتلمذة على القرآن الكريم ثم الرسول الأعظم ρ ثم قراءة الكون بقدرة سريانية عجيبة حتى أبعد خلية مدركة فيه .

42- راجع البحث القيم " المنهج العوفي وإعلاء كلمة الله عند بديع الزمان " للدكتور بنيامين دوران ، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي

تجديد الفكر الإسلامي
في القرن الحادي والعشرين
ودور الإمام النورسي

بحث مقدم إلى مؤتمر "حركة التجديد في القرن الحادي والعشرين ودور بديع الزمان سعيد النورسي" المنعقد في الجامعة الوطنية في كوالالمبور بماليزيا في 21-1999/8/22

مما ثبت في دين الإسلام بالضرورة أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم خاتما للأنبياء والمرسلين، وأرسل معه دين الإسلام، متكاملا متوازنا، جمع بين التوحيد الخالص والعقيدة الصافية، والشريعة الضابطة، وبنى عليهما نظاما أخلاقيا، يحول الدين إلى واقع ملموس، تبنى فيه الأمة المسلمة، فالمجتمع المسلم فالدولة المسلمة فالحضارة المسلمة، ويصاغ فيه الإنسان صياغة ربانية شاملة، في ظل منهج شمولي ينطلق من القرآن المقروء إلى القرآن المنظور الى القرآن الناطق في شخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم. وبذلك تتكامل الحلقات وتتوزع الأنصبة البشرية المنبثقة من أسماء الله الحسنى المبثوثة في أنسجة القرائن الثلاثة .[43]

وقد كانت النبوة في ضوء ذلك ضرورة حضارية ، كي يأخذ الإنسان دوره الكامل في تحريك أنصبته المذكورة في المساحة الواسعة التي تركها الوحي له من أجل حرية حركته وتغييره ووضعه الزماني والمكاني المتجدد.

43- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

ومن هنا لم يعد الدين الحق يعيق حركة الحياة، لأن تلك الحركة هي التي تنـزل الوحي الإلهي على الواقع، وتحوله إلى تغيير مستمر، دون أن تفقد الحياة المحور الذي هو عبارة عن نصوص الوحي القاطعة في شؤون الوجود كله، لأنه حينئذ لا يتمرد على ربه ولا يحتاج إلى أن يفصل ما لله لله وما لقيصر لقيصر.

وقد نبهنا النبي الرسول القائد الى قانون ذلك التغيير الضروري بقوله الكريم " إن الله يبعث على رأس كل مائة من يجدد لها دينها " أو " أمر دينها " .[44]

ومن هنا فان الإنسان لا يحتاج إلى تغيير الدين في أصوله القاطعة، لأنه أصول خالدة، تتلاحم مع جوهر الإنسان، بل يحتاج باستمرار إلى أعراض الحياة، أو قل إن تلك الأعراض هي التي تدفعه إلى التغيير الدائم، من خلال قانون الحركة الاجتماعية، قانون التحدى والاستجابة. فمن خلال قوة التحديات التي تواجه المجتمع المسلم، تبرز الاستجابات الضرورية، لتخفيف قوة تلك التحديات وتحويلها إلى مآرب جديدة لحركة الحياة المتجددة. وبناء على ذلك ، يصح لنا أن نقول: إن " التجديد " هو القانون التحتى لحركة الأمة الإسلامية، نستقرؤها من خلال تطور الزمان الإسلامي، منذ مبعث الإسلام إلى اليوم.

وفي سبيل ألا نبقى في التاريخ طويلا ونحن نريد أن نجتاز القرن العشرين إلى الحادي والعشرين، نقول بإيجاز شديد:

إن التجديد يشمل محور الوقوف أمام محاولة تحريف أصل العقيدة الدينية المبنية على التوحيد الخالص.

- فظهور إحياء التجسيد الإلهي في شخص ما، والذي انتقل من الأمم القديمة إلى مجال الصراع لإفساد عقيدة المسلمين، أدى إلى ظهور علم جديد، سمى بعلم الكلام، يبنى الأساس النقلى على المرتكز العقلي، الذي يضع الأساس القاطع لإثبات الخالق الواحد الأحد، وتفنيد

44- أبوداود- كتاب الملاحم 31. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 61/2- دار الكتاب العربي. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني 150/2 رقم 599 المكتب الإسلامي.

عقيدة الشرك والدفاع عن التوحيد الحق، ويرد محاولات السمنية الهندية لإنكار النبوات، واثبات ضرورته للإنسان في هذه الحياة، ويفند الفلسفة الجبرية التي انتقلت من الرواقية، وإظهار حقيقة المسؤولية من خلال صراحة النصوص في الكتاب الكريم والسنة الشريفة، والتفنيد العقلي لمحاولة وضع الإمام المعصوم المقدس مكان الإمام العادل، مؤيدا بالنصوص من الكتاب والسنة والاستقراء التاريخي لحياة الصحابة الكرام، ودحض الغنوصيات الاجنبية التي أرادت تشويه النظام السلوكي في الإسلام، وإخراجه من دائرة القرآن والسنة، وحياة الأمة، وبالتالي إخراجه من الدائرة الإسلامية الكبرى التي تشمل العقيدة والشريعة والسلوك .

إذن فالتجديد لأساليب الدفاع عن العقيدة والنظام الروحي في الإسلام، قد استمر بقوة في القرون الإسلامية الأولى، وأنقذ الإسلام من تحريفات كانت من الممكن أن تطيح بقواعد الوجود الإسلامي، ولكن قوة الاستجابة الإسلامية الموجهة من أسس الحقائق المعرفية التي استنبطها علماء الإسلام من الكتاب والسنة، استطاعت أن تمتص تحدى الانحراف، فقبرت محاولات الإساءة إلى الدين الحق في مهدها بإذن الله سبحانه وتعالى.

وعندما حرف حكم الشورى إلى ملك الوراثة العضوض وألحق أضراراً بالغة الخطورة بحركة الإنسان المسلم وحريته وكرامته، جاء الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز فارجع الشورى ونشر العدالة ، وأعاد للإنسان كرامته، وذكر الناس بالخلافة الراشدة، التي يمكن أن تتجدد في كل زمان، تتهيأ الظروف التاريخية لتحقيقها.

وحين زحفت الجيوش الصليبية من الغرب والتتر من الشرق. نهضت الأمة تجدد نفسها وقوتها وإيمانها في حطين وعين جالوت، وألحقت بهؤلاء الأعداء الهزائم الكاسحة .

أما في تجديد الحياة وبناء الحضارة، فقد تجدد العقل الفقهي حين نشأت المدارس الفقهية الكبرى التي قادها الائمة العظام واستوعبت تطور الحياة ، واستطاع القضاء الإسلامي أن

يحاصر الخصومات المتجددة بين الناس ووضع نظام مرافعات، يعدّ من أرقى أنظمة المرافعات في الحضارات القديمة والحديثة .[45]

وأما الحضارة الإسلامية بمنهجها العلمى وشموليتها الفاعلة وبنائها الشامخ في مضامير الحياة كافة، فكانت تجديدا متواصلا ومماشاة سديدة لحركة تقدم الزمان والمكان .

وهكذا نجد أن حياة المسلمين كانت سلسلة من الانتصارات المتلاحقة المستجيبة للتحديات الداخلية والخارجية في التنمية الاجتماعية الدائمة في ظل القرائين الثلاثة (القرآن، الكون، والرسول القدوة).

ثم مالت الأمة الى الخمود والجمود، وأهملت سنن الله في الحياة، وتقاعست عن محاولة رفد الحياة بالجديد المفيد ، وابتعدت عن هداية القرآن بالاشتغال بحل ألفاظه، وأهملت دراسة السنة النبوية، والاستفادة من كنوزها الباهرة، واستقرت في أحضان التعصب المذهبي، وعدم صياغة النظريات الكلية، وفقدان حرارة الإيمان بحل المشكلات المصيرية التي تجابه العالم الإسلامي، وانتشار اللامسؤولية والسلبية والحياة التواكلية التي كانت تعبر عن الهزيمة الداخلية التي أصابت النفوس المسلمة ، وانتشار البدع والخرافات ومظاهر الشرك الأكبر والأصغر، وخمود جذوة الإبداع في الفكر الإسلامي، الذي عد الفكر القديم مقدسا لا يجوز مسه، بل وضعه بدل الإسلام نفسه، وإيقاف الحياة عند ما وصل إليه الأقدمون، وعدم فهم الصراع الاجتماعي بين التحدي الجديد وضرورة الاستجابة المستنيرة له، وتوقف الحركة العلمية، والعقل العلمي الذي انتج من قبل المدنية الإسلامية وثقافتها المتقدمة، والانهيار الكبير الذي أصاب الحياة المعيشية وانتشار الفقر والجهل والأمية .

هذه الأوضاع وغيرها هي التي أثقلت الأمة بالانهيار، وأطمعت المراكز الاستعمارية لغزو بلاد الإسلام والسيطرة على مصيرها وامتصاص ثرواتها، ووضع العقبات دون

---

45 - نظام القضاء في الإسلام، جمال صادق المرصفاوي 128 وما بعدها، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض 1404هـ/ 1984م.

نهوضـها، والعمـل علـى الإبقـاء علـى عوامـل التـأخر والتجزئـة، وفـرض أنماطهـا الثقافيـة والحضارية على البلاد الإسلامية التي استعمرتها وحكمتها بالحديد والنار.

ومن المعلوم في الصراعات التاريخية والاجتماعية ان التحديات الكبيرة، لابد فى النهاية أن تؤدى إلى استجابات كبيرة، لا سيما في وطن لم يزل يتلى فيه القرآن وتزار الكعبة، وتقام الصلوات في المساجد، وترتفع من على مآذنها شهادة أن " لا إله إلا الله محمد رسول الله " .

وهكذا اشتعل الصراع في العالم الإسلامي بين الإسلام والقوى السرية والعلنية، سواء في ذلك الإلحادية أم الصليبية أم اليهودية .

لقد كـان ذلك الصراع الدموي كفيلا بـان ينتج فكرا جديدا، يعيد النظر فـي كل شئ، ويحاول أن يدرس مكامن التوقف والتأخر في الحياة الإسلامية، والأسباب الحقيقية التـي أدت إلى انهيار المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية والدولة الإسلامية .

ومن هنا فقد كان ظهور جمال الدين الأفغاني (ت/1897 م) إيذانا ببداية هذا الفكر الجديد الذي انطلق من القرآن الكريم والسنة النبوية يدعو إلى عدم نقل الفكر الماضي بكل أثقاله إلى الزمن الحاضر .[46]

أي أن الأفغاني دعـا إلـى الأصـول حتـى تتحـرر مـن القوالـب التاريخيـة لحركـة الإنـسان المسلم، كي نأخذ حريتنا في بناء حياتنا الجديدة، منطلقين من الوحي الى العصر . [47]

وفي ضوء ذلك كان الأفغاني يدعو إلى التجديد المستمر في الإسلام في إطار ضوابط الفهم الأصولي ومتطلبات العصر الجديد . [48]

46- الأعمال الكاملة – جمال الدين الأفغاني – جمع د . محمد عمارة ص 326
47- جمال الدين الأفغاني – عبد القادر المغربي ص 61 عدد 18 سلسلة إقرأ
48- خاطرات السيد جمال الدين الأفغاني – نقلا عن الأعمال الكاملة ص 329

والأفغاني لا يفكر مجردا عن الحياة والحركة، أي أن فكره ليس فكرا نظريا عقيما غير منتج، وإنما هو فكر حركي وثاب يدعو إلى اليقظة والقيام والانتقال من حالة الجمود الى حالة الفعل والجهاد الشامل في الحياة.[49]

وبعد وفاة الأفغاني تسلم الراية من بعده تلميذه، الشيخ محمد عبده، وتلميذه الذي لم يره الشيخ رشد رضا، فعمّقا أفكاره في نواحي الحياة كلها، ولا سيما من خلال تفسير القرآن الكريم، واستطاعت هذه المدرسة الثلاثية، أن تقدم فكرا إسلاميا معاصرا، رشيدا متنورا وقف أمام طغيان النـزعة الخرافية والتحريفية في التراث الإسلامي من جهة، وواجه العقلانية المادية الأوروبية الغازية من جهة أخرى. ولم يكن ذلك الفكر مذهبية ضيقة أو طائفية متعصبة، أو فكرا تاريخيا جامدا ينكص الى الماضي ويقتل الحاضر والمستقبل ، وإنما كان فكرا شمولياً وسع الإسلام كله، لأنه انطلق من الوحي الى العصر، بكل مشكلاته الماضية والحاضرة والمستقبلة، فعالج قضايا العقائد والشريعة والسلوك والحياة في ضوء إنهاء الصراع الفكري حول المدارس الكلامية القديمة، ودعا إلى تأسيس علم كلام قرآني جديد، ومراجعة الرصيد الحضاري الماضي، وغربلته بإبعاد العناصر الداخلية فيه، ومحاربة التعصب العنصري والطائفي الذي فرق الأمة وأضر بالوحدة الإسلامية، ومعالجة أسباب تأخر المسلمين وأمراضهم الكثيرة وردّ الغزوات الفكرية الاستعمارية الإستشراقية التي شنت على الإسلام وأهله .

ولا شك عند الباحثين المنصفين أن تأثير هذه المدرسة الإسلامية الحديثة كان كبيرا على الفكر الإسلامي سواء في مجال تفسير القرآن الكريم أم في مجال الفكر الإسلامي المعاصر بأجنحته المتنوعة، الفلسفية والفقهية والأصولية والعقلية والعلمية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

49- العروة الوثقى 115

وكان التأثير الأعظم لهذه المدرسة، ظهور الحركات الإسلامية المعاصرة التي وسعت من دائرة الفكر الإسلامي الحديث، وعالجت القضايا الفكرية والسياسية والجهادية التي تفرعت منها .

منها ظهور فكر وحركة الإمام الشهيد حسن البنا في مصر، حيث انطلق ليرسم للجيل الجديد، بدقة ووضوح " المذهبية الإسلامية " في شؤون الكون والمجتمع والإنسان بتفاصيلها الدقيقة الشاملة التي استوعبت نواحي الحياة كلها، والتوجه نحو فكر إسلامي متجدد ومتطور، يستوعب نهضة المسلمين في العصر الحديث، ويقود حركتهم نحو البناء ويضع الحلول الواقعية المتوازنة لمشكلاتها المستعصية التي نتجت عن عصور التخلف الحضاري .

وقد وضع الشيخ البناء عشرين أصلا لفهم الإسلام في هذا العصر، وذلك لضبط حركة الفكر والجهاد والإقدام على بناء الفرد والمجتمع والدولة وإعادة صياغة الأمة من جديد .[50]

ومن الجدير بالذكر أن الإمام البنا في كل ما كتب وفعل ينطلق من الوحي إلى العصر، ولا يبقى كثيرا في التاريخ إلا فيما يذكر بالأمجاد الماضية .

ومن الحقائق الثابتة في حياته، انه لم يكن يؤمن بالدعوة الفكرية النظرية فحسب، وإنما حولها إلى اكبر تنظيم إسلامي في العصر الحديث. لأنه أدرك أن هذا العصر هو عصر التنظيمات الاجتماعية والسياسية.

فصياغة الأمة الإسلامية تحتاج إلى حركة جهادية شاملة في مجالات الحياة كافة، من اجل العمل على استئناف الحياة الإسلامية والانتصار على الأعداء المستعمرين المحتلين لبلاد الإسلام.

وأما في تركيا فقد ظهر الإمام الجليل سعيد النورسي الذي نريد أن نحدد دوره في القرن القادم، واستوعب ثقافة عصره وهضمها، فلا شك انه اطلع على تفاصيل أفكار هذه المدرسة في اتجاهاتها، بدليل الجسور المنهجية والفكرية المشتركة بينه وبينها .

50- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ص 357. الثالثة 1984

فهو مثلهم، الإبن البار للإسلام والمسلمين، ولا يؤمن إلا بالجنسية الإسلامية، ويعتقد أن العنصرية والطائفية هما عدوتا الأمة الإسلامية . [51]

وهو مثلهم يؤمن بضرورة الدخول في العصر الحضاري الجديد، ويؤمن بضرورة إيجاد علم كلام جديد، يقود حركة الفكر الإسلامي المعاصر، بمقابلة الفكر الغربي الجديد .

وموقفه من الفلسفة الغربية خاصة والحضارة الحديثة عامة، هو نفس موقف مدرسة الأفغاني.[52]

ولكن مع كل ذلك التشابه، لا يمكن أن يعد تلميذا في مدرسة الأفغاني كمحمد عبده والشيخ رشيد رضا، لأن شخصية الإمام سعيد النورسي شخصية منفردة متميزة ، لا يمكن أن يعد تلميذا في مدرسة معينة قديمة أو حديثة .

لماذا ؟

لأن النورسي ينطلق مباشرة من القرائين الثلاثة، بلا وساطة ولا حدود تقوده إليها .

أولا : القرآن المقروء الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، خاتم الأنبياء والمرسلين .

ثانيا : القرآن المنظور الذي هو الكون الذي نعيش فيه، بما فيه من آيات الأنفس والآفاق .

ثالثا : القرآن الناطق الذي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، بتفاصيل سيرته الجزئية والكلية المتكاملة .

وهو يستعين في هذا الانطلاق بقدرة سَرَيانية عميقة، من خلال ذوبان كامل في إطار القدرة البشرية في إدراك أسرار نسيج كل خلية من خلايا القرائين الثلاثة . فيصل من ذلك كله إلى اكتشاف تجليات المعاني الدقيقة لأسماء الله الحسنى في كل كون قرآني من الأكوان

51- المكتوبات – سعيد النورسي، ت: إحسان قاسم الصالحي ص 79،415،544،545 وما بعدها.

52- راجع كتابنا : النورسي متكلم العصر الحديث ، حيث بينت هذه القضايا بالتفصيل.

الثلاثة ، ثم يدمجها في كلٍ واحدٍ، فيصوغها صياغة موحدة تشكل نظرته الشاملة للوجود، التي تمثل فطرة الخلق الواحدة من أعماق عالم الإنسان إلى أعماق العالم الخارجي الذي يحيط به ، من الجمادات إلى النباتات إلى الحيوانات إلى الإنسان إلى عالم الملكوت في الكون كله .

وبناء على ذلك فقد جاء خطاب النورسي موجها إلى الإنسانية عامة، وليس المسلمين فحسب ، لأنه يتكلم من خلال حقيقة رابطة تربط بين أجزاء الأكوان الثلاثة، وهي حقيقة الفطرة .

فمن أي قرآن من القرائين الثلاثة يبدأ الإنسان ينتهي الى القرآن، أي إلى الحقيقة نفسها، الى الفطرة نفسها .

فالمسلم الذي يبدأ من القرآن المنظور والناطق، ينتهي إلى حقائق القرآن المنظور ، والمادي الذي يبدأ من القرآن المنظور ينتهي إلى القرآن المقروء، شريطة أن يكون هدفه الوصول الى الحقيقة الكونية دون تعصب وتزمت.[53]

حينئذ يدخل الإنسان المادي في الإسلام، إسلام الكون كله لله، لأنه سار في ظلال تجليات الأسماء الحسنى وأدرك أنصبة البشرية منها.[54]

نعم يدخل في حقيقة إسلام المخلوقات لله تعالى، حتى لو لم يستطع أن يدرك بعض تفاصيل الشريعة الاجتماعية التي جاء بها الإسلام، والتي تنبثق من الوحي الإلهي لا من الفكر الاجتهادي. وإذا كان ذلك الإنسان المادي مخلصا في مسيرته الكونية سيدرك تلك التفاصيل الجزئية أيضا. لأنه سيفهمها كل في ظل المنهج المعرفي الواحد، الذي وجه كينونة الإنسانية بشمولية وتوازن، وأجلسه على قاعدة أمينة للانطلاق.

لقد أدرك النورسي في مخطط فرض النمط الغربي على العالم الإسلامي بالقوة، أن العالم كله في خطر، وان النظام الفكري الإلحادي اللاديني الذي يريده أعداء الله أن يفرضوه

53- الكلمات ص 375-379
54- الكلمات ص 749

علـى الإنسانية، ولا سيما المسلمين يؤدي بها إلـى الانتحـار الحضاري، وهو فقدان العقيدة، وفقدان القيم ، لأن ذلك النظام اللاديني عندما أنكر وجود الله تعالى أو أنكر خطابه، بنـى علـى ذلك إنكار القيم المنبثقة من أسمائه الحسنى .

فعندما يكون الإنسان في فراغ قيمي يتغلب علـى تفلسفه الفكر الحيواني . وتظهر تلك الحيوانيـة علـى الاتجـاه الفكـري الحـديث عنـد داروين وفرويـد ومـاركس واوجـست كونـت وغيرهم من المفكرين .

فإذن النورسي، من جهة يريد أن ينقذ إيمان المسلمين أمام زحف ظلمـات الفلسفة الغربيـة التي كانت تفرض في زمانه على تركيا من خلال القنوات الثقافية والإعلامية. ويريد من جهة أخرى إنقاذ إيمان الإنسانية بوضعها أمام فطرتها الكونية . [55]

أي أن النورسي أراد أن يقطع أصل الشجرة بقوة تلمذته على القرائين الثلاثة.

بينمـا الأفغـاني ومحمـد عبـده ورشـيد رضـا انـشغلوا بمعالجـة كثيـر مـن الجزئيـات والانحرافـات فـي مجـالات الحيـاة الإسـلامية كافـة، ودخلـوا فـي ذلـك فـي مجابهـات فكريـة ومجادلات فلسفية وكلامية، ولم يتخلصوا من ضغط السياسات الآتية التي أقحمتهم أحيانـاً في اجتهادات كانوا في غنى عنها.

أي أنهم كانوا يتحركون في دوائر كثيرة، تفرضها عليهم ظروف حركة عصرهم.

أما النورسي فقد ركز على قطع الأشجار الخبيثة في الدائرة المركزية التي سببت خلخلـة تلك الجزئيات في حياة الأمة.

وبذلك أثبت النورسي أن الأستاذية المباشرة على القرآن الكريم كفيلـة بتغيير كل شـئ، لا في المجتمع الإسلامي فحسب، وإنما على المستوى العالمي كله .

55- الكلمات ص 9-11، 26-37، 129-149، 221، 310-324

وكـان يعتقـد أن أهـل الغـرب إذا غيـروا مـواجهتهم لحقـائق الكـون وعـادوا الـى حظيـرة الإيمـان، ولـو بعلـو الحجـة ومنطـق البرهـان، لا بمنطـق التغيـر الـواقعي، فـسيتغير العـالم الإسلامي

ومن هنا فإنني اعتقد أن النورسي هو المجدد الحقيقي للقرن الحادي والعشرين القادم.

نعم إن الأفغاني ومدرسته وبقية المجددين الآخرين، قد اشتركوا جميعـا فـي تجديد الفكـر الإسـلامي فـي القـرن العـشرين وأحـدثوا فـي حيـاة المـسلمين هـزة عنيفـة أدت إلـى الـصحوة الإسلامية التي تفور اليوم في بلاد الإسلام وتريـد أن تتحـول إلـى دعوة فكريـة حركيـة منظمـة لتغيير الواقع وتحويل الوحي الى حيـاة وحضـارة. وسـتظل الإشـكاليات التـي بحثـوا فيهـا قائمـة فـي القـرن الحـادي والعـشرين، لأن الـصراع لـم ينتـه بعـد، بـين منظومـة الحـضارة الماديـة ومنظومة الحضارة الإسلامية.

بل إن الصراع الحقيقي ـ فـي رأيـي ـ سيبدأ فـي القـرن الجديـد، وسـتميل الكفـة فيـه بجانـب المنظومة الإسلامية بإذن الله تعالى، بعكس القرن العشرين الذي كانت كفـة الحـضارة الغربيـة فيه هي الغالبة. وكان المسلمون في موقف الدفاع في النـصف الأول منـه، والهجوم فـي نـصفه الثاني .

بينما سيتوجه الصراع إلى الحـوار الفكـري فـي القـرن الجديـد، ولـيس هنـاك أسـلوب منـتج للتفاهم بين الإسلام ومادية الغرب كالحوار.

ولذلك سيكون لفكر النورسي مكان بارز في القرن القـادم، لأنـه رجـل عقـد حـوارا عميقـاً بين الحضـارتين الإسلامية والغربية، عن طريق وضـع الجميع أمام القرائين الثلاثـة (القرآن ، الكون ، الرسـول) التـي تجمـع المنظـومتين علـى مائدة واحدة للتفـاهم والتقـارب ثـم الانـدماج، عندما يعلن الجميع العبودية الخالصة لرب القرائين الثلاثة .

أما لماذا سيكون للنورسي دور كبير في القرن الجديد، فلما يأتي :

- إن الصراع بين الكفر والإيمان سيستمر في القرن القادم ولو في نصفه الأول. فكتابات النورسي حول أحقية الإيمان والخطاب الإلهي المنبثق منه كتابات مبنية على الموازنة التامة بين القرائين الثلاثة ، لأن وجود الإله يستدعي وجود العناية بمخلوقاته، ووجود العناية يستدعي وجود الخطاب.

إذن فمحاولة اللادينية أبعاد الخطاب الإلهي عن حياة البشر ستصطدم بمنطقية وجود هذا الخطاب، وبضرورة تمكينه من تنظيم حياة البشر. لأنه يمثل القيم المنبثقة من أسماء الله الحسنى. وهي قيم متوازنة تماما تدخل الوحدة والانسجام الى الكينونة البشرية.

وعلم الكلام الجديد الذي صاغه النورسي من خلال عقد الموازنة بين القرائين الثلاثة في ظل تجليات الأسماء الحسنى، علم خالد يعتمد على الوحي القاطع، لا على الفكر الاجتهادي، حتى يخضع لتطور موازين الفكر والثقافة، لأن النورسي لا يبقى في التاريخ كثيرا، لأن التاريخ عنده في معظم مفاصله يمثل صراع المصالح والغرائز في الأرض.

- إن موكب الإيمان بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وموكب الإلحاد واللادينية بقيادة إبليس قد تمازجا في هذا العصر تمازجا كاد أن يقضي على وضوح الرؤية في الموكب الإيماني الإسلامي عن طريق الإخضاع أو السخرية والإنكار. وحاولت مدرسة الأفغاني إنقاذ الإسلام في حالة انجراف المسلمين مع الحضارة العقلانية المادية، باتباع أوسع دائرة تأويلية أصولية في الوصول إلى عقلانية إسلامية تعوض المسلمين عن العقلانية الغربية المغرية بإنجازاتها الحضارية أو تقف أمامها. ولكن هذه المحاولة لم تحسم تماما موضوع التميز التام بين الموكبين، وبقى هنالك غبش في المنهج، يستفيد منه المتصيدون في الماء العكر من المسلمين العلمانيين.

بينما النورسي لتلمذته التامة على الوحي الإلهي وحده، وموازنته بين القراءات الثلاثة الموحدة للقرائين الثلاثة، استطاع أن يوحد هذا الأمر ويضع خطا فاصلا واضحا بين الموكبين، فلا يحدث مع هذا المنهج ارتباك في فكر الإنسان المسلم ، مع انه اتبع قاعدة عقلية صارمة كانت نتيجة تلك المطابقة الكاملة بين المقروء والمنظور والناطق.

ونحن في القرن الحادي والعشرين نحتاج إلى رؤية واضحة للمنظومة الحضارية الإسلامية، حتى يتم انتقال الأمة الإسلامية بنظافة تامة من المنظومة المادية إلى المنظومة الإسلامية، تمهيدا لأسلمة الحضارة الغربية ذاتها. لأن مع عدم وضوح الرؤية وصفاء المنهج، وإصلاح أسس الفكر الإسلامي، لا نستطيع أن نقوم بتلك العملية من أجل شحن الحضارة المادية الحديثة بقيمنا الإسلامية المتوازنة، كي يخف في الأقل الصدام العنيف الذي يخططه اليهود لإيقاع المسلمين وغيرهم فيه . [56]

- إن اكتشاف النورسي لظلال معاني الأسماء الحسنى بدقة كبيرة، وتجلياتها في عالم الأنفس والآفاق والقيم المنبثقة منها باتساق كامل، ستحل مشكلة القيم المبعثرة في الحضارة الغربية التي مزقت الإنسان وأخرجته من دائرة إنسانيته الى الدائرة الحيوانية. وسترجع كينونة الإنسان المسلم إلى وحدتها وتوازنها .

إن تجربة الإنسانية في تجاهل تلك القيم الموحدة في العصر الحديث، وما انتهت إليه من إخفاق في حل أزمة الإنسان وملأ الهوة السحيقة التي حدثت بين الروح والمادة، ستدفع الإنسان المسلم خاصة وإنسان الحضارة عامة، في القرن القادم على تجاوز البرزخ المصطنع الذي أوجد الإنسان المادي أبعدته عن صياغة الإنسان الكامل . وصياغة النورسي لتحليل تجليات تلك الأسماء المباركة ستفيد حركة إعادة بناء النظام الأخلاقي في المجتمع الإنساني كله، بله المجتمع الإسلامي .

- يرفض النورسي الاعتماد على الفلسفات الإشرافية والغنوصية التي دخلت النظام الروحاني في الإسلام، فأفسدته وأخرجته من توازنه الكامل مع العقيدة والشريعة، وأسبغت عليه وجها أحادياً بعيداً عن اتخاذ الوحي الشامل بقراءاته الثلاث، المصدر الوحيد لفهم

56- انظر هذه المحاولة اليهودية في كتاب " صدام الحضارات" للكاتب اليهودي الأمريكي صموئيل هينتجتون.

الحقيقة في الوجود، معتمدا على رياضيات روحية تقطع الإنسان المسلم عن حركة الحياة وتخرجه من قلب الصراع في الحياة، متمثلا بالبناء أو الهدم.

وبذلك ارجع التربية الروحية إلى نسقها المتوازن في دائرة الإسلام، وابعد عن معركة إنقاذ الإيمان في عصرنا والعصر القادم، النظام الطرقي، المنحرف الذي بنى في تاريخنا على اختلاط المعرفة الإلهامية مع النـزعات الشيطانية، لابتعاد أصحابه عن التلمذة على القرآن الكريم واتباع القائد الكوني للركب المؤمن محمد صلى الله عليه وسلم . [57]

وفي مسلكه هذا تقويم جيد لأسس المعرفة الأصولية التي تستطيع أن تدخل في الصراع القادم مع الحضارة الغازية بأسلحة عقلية فطرية علمية .

- إن القرن القادم يتطلب من العالم الإسلامي أن يكون موحداً فكرياً، حتى يستطيع أن يقاوم " العولمة " التي تريد أن تلغى فاعلية الإسلام من الوجود، بفرض النظام الرأسمالي الإباحي على العالم .

ولقد اهتم النورسي بهذه المسألة الخطيرة في رسائله اهتماماً مصيرياً، وهو دعوته المستمرة فيها من اجل عدم الدخول في صدامات داخلية مع التيارات الدعوية الإسلامية الأخرى. وتوحيد القوى والجهود لمواجهة الجاهلية المعاصرة .

إن معرفة طبيعة العصر، دفعته ألاّ يعادي حتى التيارات السياسية غير الإسلامية في العالم الإسلامي، بل وجّه إليهم الدعوة جميعاً، لأنهم في رأيه يدخلون جميعا في دائرة " ملة الإسلام" على الرغم من أخطائهم المنهجية والسياسية .

ولذلك تجنب تكفير المسلمين في حياته، وطلب من تلامذته عدم الدخول في الثأر للنفس .

وهذا المنهج السديد هو الذي سيحتاج إليه المسلمون في العصر القادم، لأنه ينهى الخصومات، ويوحد الأمة وينشر بين أبنائها المحبة ووحدة الاتجاه والمصير . [58]

57- انظر على سبيل المثال : الكلمات ص 24، 157، 255، والمكتوبات: 102 والشعاعات :158

58 - الشعاعات ص 424

ومما يقوى هذا الاتجاه دعوته الحاسمة بعدم مشروعية توجيه الجهاد إلى داخل المجتمع الإسلامي، لأن ذلك سيؤدى إلى تفجيره من الداخل. وهذا لا يستفيد منه غير الأعداء .

إن الجهاد في العالم الإسلامي هو جهاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجهاد العلم والنصيحة، لإعادة الأمة إلى حظيرة الإسلام، حسب قانون التدرج الكوني . [59]

- حلل النورسي الحضارة الغربية تحليلات عميقة في كلياتها وجزئياتها، وفلسفاتها السياسية والاجتماعية وتوجيهاتها الإباحية، واثبت خطورة هذه الحضارة في حدودها الحاضرة على مستقبل البشرية، لأنها جانبت فطرة الإنسان، واصطدمت مع حقائق الإيمان، وبرهنت على أنها لا تقوم على أسس معرفية متوازنة، وإنما هي أقوال رجال تمثل ضلالات النفس الامارة، لا تعرف معنى للحياة غير الصراع .

فالفلسفة التي تقود هذه الحضارة سفسطة لا حقيقة لها، تحقر الكون وتتجاهل نظامه، ولا تتعمق في أسرار الوجود وعللها، وتتهرب من الإجابة على أسئلة الفطرة والعقول النيرة. [60]

إن هذه الفلسفة بإعطائها صفات الألوهية للإنسان سارعت إلى أنواع الضلالات، فنسبت الخالقية إلى الطبيعة والمصادفة والأسباب . [61]

إن نقطة الاستناد في رفض الفلسفة الجاحدة في فكر النورسي تعتمد أيضاً على الفلسفة. ولكن أية فلسفة ؟

هي الفلسفة الواقعية التي تخدم الحياة الاجتماعية وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية، وتمهد للرقى الاجتماعي وحينئذ تكون في وفاق مع القرآن الكريم . [62]

الحق إن الفهم الدقيق لأسس الفلسفة الغربية لدى النورسي ومناقشتها، هو اقرب إلى الحوار منه إلى الهجوم العاطفي العشوائي. ومن هنا سيكون موقف النورسي من الحضارة

---

59 - المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي – بحث" العمل الإيجابي- القاعدة الثابتة لعمر مديد" – للدكتور علاء الدين باشار ص 135

60 - الكلمات ص 639

61 - الكلمات ص 146

62 - الملاحق- ملحق اميرداغ 286

الغربية ونقدها بهذه التفاصيل منهجا للفكر الإسلامي في القرن القادم، لأن هذا المنهج يبحث في أصل الداء ، وكشفه أمام المسلمين وأمام الإنسانية جميعاً .

وسيكون اقدر على حل المعضلة الفكرية أمام المسلمين وحل عقدها واحدة واحدة .

خاتمة :

هذه لمحة موجزة في هذا البحث القصير عن حركة التجديد الإسلامي في مدرسة الأفغاني وعند الأستاذ النورسي الذي جاء بعدهم، توضح أن هذا الفكر الذي ظهر نتيجة للظروف التي أحاطت بالمسلمين في القرن العشرين، والتي استمرت إلى اليوم وستستمر وتعبر إلى القرن الحادي والعشرين، هو فكر الصراع التاريخي بين المنظومة الإسلامية والمنظومة الغربية.

غير أن فكر النورسي سيكون اكثر التصاقاً بذلك الصراع، لأنه واجه الحضارة الغربية مواجهة متكاملة متوازنة في إطار المذهبية الإسلامية الشاملة في شؤون الكون وخالقه والمجتمع والإنسان، والتي تلقى بالمسلمين وغير المسلمين في عصر هيجان إيماني كوني عظيم، لأن حضارة مادية ضخمة مغرية كحضارة الغرب تلك التي واجهها، لم يكن يفيد في مواجهتها إلا مثل ذلك الهيجان الذي هو وحده كفيل بإخراج المسلم والعالم بأسره من هوة عالم اليهودية الإلحادية الإباحية إلى سوح الصفاء الإيماني القرآني بقوة وحسم ووضوح .

إن إكمال ترجمة " رسائل النور " إلى اللغات العالمية الحية، سيحدث حركة إيمانية واسعة في العالم وسيفتح نوافذ كبيرة ينظر منها عقلاء الأمم والشعوب الى القرآن الكريم ومنه إلى الرائد الذي لا يكذب اهله، الرسول الخاتم صلوات الله وسلامه عليه .

فعلى الأخوة النوريين أن يبذلوا الغالي والنفيس في سبيل إيصال رسائل النور إلى العالم، حتى لا يوضع النورسي في متحف القرن العشرين. لأنه يستحق بجدارة، أن يكون مجدد إنقاذ الإيمان في العالم كله.

لماذا ؟

لأنه وجد أن الخراب الذي أصاب حياة المسلمين، يقف وراءه خراب عالمي آخر، فركّز على الثاني لهدمه في حياة المسلمين وغيرهم. بينما المجددون الآخرون ركزوا على تحليل وتنقية الخراب الأول. فخطابهم موجه إلى المسلمين وإيقاظهم، بينما خطاب النورسي موجه إلى الإنسان من حيث هو إنسان، سواء أكان مسلماً أم غير مسلم .

ومن هنا فمنهج النورسي هو أسلمة الحضارة في مناهجها الموجهة، لأن في ذلك خلاص المسلمين ونقلهم الى رحاب الإيمان والشهادة على البشرية، كما أمرهم رب العالمين
.

ومن الجدير بالذكر هنا، انه على الرغم من أن هؤلاء المجددين عاشوا في عصر حضاري واحد، وانهم كانوا متقاربين فكريا، إلا أن التقارب بين الإمام سعيد النورسي ومعاصره الإمام حسن البنا اكبر .

ولقد شعر النورسي بذلك التقارب وعد طلاب النور وطلاب الأخوان المسلمين في البلاد العربية، من بين صفوف عديدة "صفين مترافقين ومتوافقين في حزب القرآن وضمن دائرة الاتحاد الإسلامي المقدسة" .[63]

ومن هنا فان الضرورة التاريخية تحتم على المفكرين الحركيين المنطلقين من الوحي إلى العصر، أن يتقاربا اكثر في القرن القادم، كي يستفيد كل مما عند الآخر من فكر وخطط وتجربة، كما يجب أن يحصل وفي أوسع دائرة ممكنة مع الحركات الإسلامية الأخرى التي تقدم فكرا إسلامياً شمولياً ، كي يحصل التعاون التام في سبيل قيادة النهضة الحضارية الآتية بإذن الله في العالم الإسلامي.

وهذا لا يعنى إنني أدعو إلى تجميد حركة القرن القادم على أفكار هؤلاء المجددين، لأننا لا نعلم بدقة ماذا سيجرى في غياهب القرن الحادي والعشرين .

63- الملاحق – ملحق اميرداغ 337

ولكنني أقول : إن مسرحية الصراع الحضاري الحالي لم ينته بعد، ولم تعرض فصولها كلها. ولذلك سيكون للمجددين في هذا القرن دور كبير في القرن القادم، لا سيما الإمامين الجليلين الشهيدين سعيد النورسي وحسن البنا . رحمهما الله تعالى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوية الإنسان المسلم
في ضوء رسائل النور

بحث مقدم إلى الندوة العالمية" هوية الإنسان المسلم " المنعقدة بتاريخ 1/31 - 2001/2/2 التي أقامتها مجموعة البحث في الفكر والحضارة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة عبد المالك السعدي - تطوان – المغرب.

لم يمر على المسلمين زمن كانوا بحاجة شديدة إلى تحديد هويتهم الإيمانية والاجتماعية والحضارية كحاجتهم إليه اليوم. فقد تكدست عليهم عوامل التأخر وتكالبت عليهم جموع الأعداء الذين استغلوا ضعفهم وتأخرهم وسقوطهم الحضاري ليصيدوا إليهم أفكارهم المادية وفلسفاتهم الجاحدة، وقيمهم النسبية وأنماط حياتهم الاجتماعية. من اجل إدماجهم في نسيج الحضارة المادية الحاضرة. ومن المعلوم أن هذه المأساة ليست بنت اليوم، وإنما بدأت مع طلائع الاحتكاك بالحضارة الأوربية منذ بدايات القرن التاسع عشر، ثم انداحت موجاتها شيئا فشيئا حتى استقرت في الانقلابات اللادينية، التي استعملت العنف والقوة في فرض اللادينية، والتخطيط للقضاء على الإسلام، عقيدة وشريعة وأخلاقاً وحضارة. وكادت هذه الفواجع المروعة أن تسلخ المسلمين نهائيا من حضارتهم، بعد أن تحقق للدوائر السرية والعلنية المعادية استلاب العقل المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلمة. ولاسيما تحت مظلمة الاستعمار الغربي والشرقي لمعظم بلاد المسلمين.

إن غزو الحضارة الغربية لمجتمعاتنا فضح الأمراض القاتلة لمجتمعاتنا الإسلامية، والتي تجسدت في الجهل والجوع والمرض، بجانب جهل الإسلام وعدم الوعي بحركة الحياة ومرحلة التطور الإنساني، حين مجابهة التغريب اللاديني والاستسلام المطلق للفكر الغيبي الخرافي اللاتيني الذي تحول بمرور الزمن إلى ثقافة مقدسة، ملأت حياة المسلمين الفارغة في العصور الأخيرة، وأبعدتها عن إدراك السنن الإلهية لقيام المجتمعات وسقوطها أو لعوامل النصر والهزيمة في حياة الشعوب والأمم.

لقد بلغ سيل زبى هذا الاستلاب الرهيب للعالم الإسلامي في بدايات القرن العشرين مداه فتفجرت في أعماق ذاكرة الإنسان المسلم القوي الكامنة المتراكمة التي أوجدها الإسلام تاريخنا الطويل، لتظهر على شكل نقاط تحمل ساخنة هنا وهناك، تحمل الرفض للوضع القائم، وتفكر في التخطيط لتجديد حياة المسلمين. وصنع وعي جديد بالدين والتاريخ والمرحلة وبناء المستقبل وتجسيد أصالة الهوية الحقيقية للإنسان المسلم.

وبقدر ما كانت معركة الفرض الدموي للتغريب مروعة ومأساوية، في مركز الأمة الإسلامية وموطن خلافتها المريضة الأخيرة. كانت الاستجابة ثورة عقيدية فكرية إسلامية فخمة وعميقة، ولكنها في الوقت نفسه كانت هادئة حكيمة سليمة، خبيرة بحاسبات الأقدام والأحجام، عارفة بخطوط المواجهة وخريطة الصراع الجديد بين الاستسلام الذليل للتغريب أو التلمذة الشريفة على القرآن المجيد.

وإذا كان ظهور رجل صلب العقيدة، عالم بأبعاد الصراع، طبيب نطاسي بأمراض الأمة كالإمام المجاهد سعيد النورسي ضرورة في ذلك الوقت كي يوقظ النائمين، وينبه الغافلين، ويقود ركب إنقاذ الإيمان بوعي واقتدار وفكر نير وإيمان راسخ، لتجديد هوية الأمة من الإيمان والإسلام والأصالة والانتماء والاعتزاز والمنعة. وإذا كان قد نجح بإذن الله نجاحا عظيما في إنقاذ الجيل وشحنه بالاعتزاز بدينه والاستسلام لربه والانضمام تحت كلمة "لا إله إلاّ الله" ومقاومة الإلحاد مع اضطهاده ووضع اصعب العراقيل المتنوعة إمامه. فإن عالم

العولمة اليوم[64] التي يقودها الطغاة المجرمون من اليهود وأذنابهم في كهوف التآمر وأوكار الدعارة، من اجل اختراق الأمم والشعوب والثقافات وإلغاء دولها وتفكيك أنظمتها وفتح أسواقها أمام جشع الرأسمالية الجديدة وإحاطة فضواتها بالأقمار الصناعية، وتحويل الكرة الأرضية إلى ميدان إلغاء الآخر وفرض حضارة النمط الأمريكي، وعقد المؤتمرات العالمية للأسرة والمرأة لتغيير هوية الإنسان والاعتراف القانوني بالشذوذ والمطالبة بإدراج حقوقهم الانحرافية ضمن حقوق الإنسان، والحصول على الأطفال بالتبني أو تأجير البطون وإقرار حق الفتاة المراهقة والمرأة المتزوجة والفتى المراهق والرجل المتزوج في حرية الجنس مع من يشاؤون.

أقول إذا كان هذا وضع العولمة اليوم في هذا العالم المعاصر، فإنه للعالم الإسلامي بأحوج ما يكون إلى ذلك الإمام الجليل في رسائله النورية الموسوعية القرآنية الشاملة التي أحاطت بصراعات العصر الفكرية والروحية والحضارية، كي يجد فيها المسلمون أنفسهم ويعثروا على هويتهم، ويصنعوا في ضوئها حياتهم ويبنوا حضارتهم من جديد.

إن رسائل النور اليوم هي "العصا القرآني الجديد" الذي يستطيع أن يضرب الطوفان العولمي، فيسجره على أصحابه المتآمرين على الأمة الإسلامية خاصة، ليغرق الفراعنة والنماردة الجدد.

يا ترى: ماذا يمكن أن يقدم إلينا الشيخ النورسي من علاج أمراضنا وتشكيل عقولنا ورسم خريطة حياتنا الإسلامية.

إنه يرسم لنا لا شخصيتنا فحسب، وإنما يتغلغل إلى شخصانيتنا فيحييها من جديد، وضعها بإيمان وقوة واقتدار قبالة محاولة تذويب الأمة وإلغائها برمتها.

إن الشخصانية تعنى الكينونة من العقل والقلب والروح والنفس مجتمعة متوازنة مستقلة مفتوحة غير مسلوبة الإرادة لقيم الأسرة أو القبيلة أو العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية.

64- للباحث كتاب بعنوان "العولمة من المنظور الإسلامي" صدر في بغداد عام 2001

وهي تعنى وعى الإنسان بذاته، مع العلاقة الشمولية الواعية المدركة بالعلم الخارجي. أي هي مسؤولية الإنسان أمام نفسه وأمام العالم الخارجي المحيط به.

ولا يمكن للشخصانية أن تتحقق في فرد إلا إذا ارتقى من كونه كانا ماديا مجردا بلا وعى ولا شعور إلى مستوى الإدراك والوعي الشاملين.

وإذا طبقنا هذه المعايير على الشخصانية الإسلامية استطعنا أن نقول: إنها الشخصانية المنضبطة بضوابط الحس ثم العقل ثم الوحي. أي أن صاحبها ينطلق في بناء علاقاته وحياته من المنهج القرآني الذي يتدرج بالشخصية المسلمة من الحس إلى العقل في إطار الوحي الجامع لهما وللمعارف التي تصدر منهما.

فعلى ذلك فالشخصانية الإسلامية تنطلق من شهادة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وهي التعبير الظاهري الذي يدخل الإنسان به الإسلام. إلا أن تلك الشهادة الظاهرية على الرغم من ضرورتها العقيدية لا تكفى أمام الله سبحانه. فالإسلام الذي يحظى برضا الله تعالى هو الاعتقاد الإيماني المركز الذي يجمع بين الظاهر والباطن، ويملأ كينونتنا ويجعلنا قادرين على التواصل الدائم مع الله الخالق ومع مخلوقاته جميعا عن طريق نشدان الحق والخير والصلاح في إطار ضوابط الشريعة الإسلامية الشاملة.[65]

إذن فالشخصانية المسلمة تعنى الكائن المسلم وما حوله من شعور ووعى وثقافة وروح اجتماعية وإنسانية نابعة من مذهبية الإسلام في شؤون الكون والمجتمع والإنسان. فإذا كانت تلك هي ملامح الشخصانية الإسلامية الحقيقية. فرسائل النور تتكفل بتكوين أسسها ومقوماتها ورسم ملامحها.

65- الشخصانية الإسلامية – للدكتور عبد العزيز الحبابي ص 15،48 ط1 دار المعارف- مصر

إن الشخصانية الإسلامية تنطلق من العقيدة الإيمانية الشاملة التي تتغلغل في كل خلية من خلايا جسم الإنسان المسلم، كي ينطبق فيه الظاهر مع الباطن، فيخلص المسلم لله سبحانه وتعالى.

ولقد أدرك النورسي عندما واجه أمراض أمته، أن الشخصانية الإسلامية قد فرغت من جذورها، وإلا لو كانت الأمة سالمة من الأمراض، لما سقطت أمام المخطط اللاديني. فمن هنا بدأ الإمام النورسي ببناء الإيمان الخالص بإيقاف المسلم أمام خالقه، من خلال قراءة المخلوقات والتفكر في نظامها العجيب والانتباه إلى روعة صنعها ودقة نسيجها وسَرَيان حكمتها والعناية التي تحيط بها. فهزّ بها كيان الإنسان المسلم وحرك أعماق شخصانيته تمهيدا لأعادتها إلى مواطن انطلاقتها الأولى، عندما حركها القرآن الكريم متدرجا من عالم الحس إلى عالم العقل ثم الارتقاء إلى مستوى الوحي الإلهي الحق المسطر في كتاب الله الأخير جل وعلا.

على أن الإمام النورسي صب انطلاقته العقيدية الإيمانية القرآنية في تلامذته، كي ينتهي توترهم إلى الراحة والاستسلام والذلة بين يدي رب العالمين. والجدير بالذكر أن انطلاقته لم تكن عقلية جدالية منطقية جافة مركبة، منابعها تختفي تحت ركام الأودية الملتوية التي تمر على ارض تشوبها الشوائب المعدنية الكريهة الرائحة، ولكنها كانت انطلاقة قرآنية تضع الإنسان عامة والإنسان المسلم خاصة أمام كينونتها عقلا وقلبا وروحا ونفسا، في امتزاج رائع وتركيبة متوازنة.

وفي ضوء ذلك ارجع النورسي هوية الإنسان إلى قلعتها، ينظر منها إلى العالم، عاليا لا متعاليا، مشفقا على البشرية من الأمراض الحضارية النمرودية والفرعونية التي خلخلت كيانها وأسلمتها إلى سبل الشيطان التي حذرنا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد أدرك اللادينيون أن الهجوم الكاسح على قلعة العقيدة من شأنها أن يسلب المسلمين قاعدتهم التي ينطلقون فيها إلى بناء الحياة في ظل مذهبية الإسلام في الوجود. فإذا انحرفوا

في العقيدة، وسلب منهم إيمانهم، حينئذ سيذوبون في مبادئ الغرب وقيمه النسبية والأخلاقية المزعزعة المبنية عليها. فسحب النورسي البساط من تحت أقدام العلمانيين، فتوجه إلى قلعة الإيمان وفرش رسائله كلها أمامها، مستعينا تارة بقوانين الحس وأخرى بسنن العقل، منتهيا بحجج الوحي الذي يعرضها القرآن الكريم عرضا مختبريا مقنعا للعقول السليمة.

كل ذلك من خلال ذكائه الحاد وعلمه الغزير وقدرته السَرَيانية النافذة في خلايا المخلوقات، ومناقشاته المنطقية وتحليلاته الفلسفية الفطرية دون الاستعانة بمصطلحات العلوم العقلية الجافة.

ولقد كان هذا المنهج مباركا، لأنه حدد هوية الإنسان المسلم بما يأتي:

1ـ حول عقيدة المسلم من التجريد العقلي إلى التربية الإيمانية والاستمتاع بلذة العبادة، الأمر الذي أعطاه حصانة داخلية، نفذت إلى الأعماق فكونت شخصانية تستطيع أن تواجه أقدار الحياة من قلعة حصينة. واستطاع بذلك أن يقود تلامذته إلى الفناء في الله والفناء في حب الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وأهل بيته الطاهرين، دون نسيان الكائنات، بل الكائنات بكل ما فيها ومن فيها كانت هي المنطلق، الذي انتهى به إلى ذلك الفناء الإسلامي الصحيح الذي قاد إلى شرح الصدر، فابتعد عن الفناء الشهودي الذي ينسى الكائنات ويسلم صاحبه إلى حالة الشطح والسير في مدارج السالكين بلا عودة إلى حركة الحياة، والفناء الوجودي الذين ينكر الكائنات ظانا أن التوحيد هو ضد الكثرة وليس ضد الشرك، فوقعوا جميعا في مجانبة طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان النورسي حريصا في كل كلمة قالها في الرسائل على اتباعه، لأنه الإنسان الأرقى والمخلوق الأرقى والثمرة الأرقى للكائنات.

إن أصحاب وحدة الشهود ووحدة الوجود وقعوا صرعى أمام التلمذة على العقول التي تربت على الفلسفات الهندية واليونانية والغنوصيات القديمة، ولذلك لم يحصل لاصحابها، ولا سيما أصحاب وحدة الوجود شرح الصدر كما وقع لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

2ـ استطاع الإمام النورسي أن ينقذ هوية الإنسان المسلم من الذوبان في التلمذة على أسس الفلسفات الغربية الجاحدة ومنهج العلم الذي سيق إلى الإلحاد، إلى التلمذة على القرآن الكريم الذي أعطاه شموليته الإنسانية وشخصيته الكونية وعبوديته لخالقه العظيم، لا لإنسان مثله، وبذلك حرره من ضغط الغرائز والخضوع للهوى المضل وانحراف العقل، وأنقذه من التيه والخرافة والغيبية اللاسببية التي حطمت في العصور الأخيرة شخصانية الأمة الإسلامية، فسقطت نتيجة لمقدمات فاسدة تحت أقدام المستعمرين الكافرين من جهة أو أفكارهم الطاغوتية المنكرة للبديهيات الكونية من جهة أخرى.

3ـ أدار رسائله كلها في دائرة كبيرة منها حول حياة القدوة العظمى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن أنصبة البشرية من تجليات الأسماء الحسنى لم تظهر متكاملة متوازنة إلا في شخصه الكريم. وفي هذا دليل عند النورسي أن الكائنات لم تكن تتم مهماتها إلا بمجيء المثل الأعلى للكائن الحي في هذا الوجود. وأعطى النورسي بذلك مفهوما جديدا للحقيقة المحمدية، عندما فسرها في ظل تلك الأسماء الحسنى المباركة. فأنقذها من تسلل ذيول الغنوصيات الأجنبية إلى حقيقة ذات تلك القدوة المباركة.

على أن هوية الإنسان المسلم لا يمكن أن تتشخص دون العيش في ظل ذلك القدوة الكريمة الرفيعة، لأن تلك الهوية ستضيع في بيداء الشخصيات الجاحدة التي لا يمكن أن تكون إلا قدوة سيئة للكفار والمشركين ، فإعادة هوية الإنسان المسلم في العصر الحديث يتطلب الانضمام النهائي إلى موكب النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الكرام وصحابته المؤمنين والمتبعين لهم بإحسان.

والحقيقة الناصعة أمام من يقرأ رسائل النورسي بدقة وإمعان يوقن انه مزج القرائين الثلاثة مزجا مركبا بحيث تشعر وأنت تتأمل تلك الرسائل، كأن الشيخ النورسي خصصها بنوع واحد من تلك القرائين، في حين إنها مندمجة اندماجا كاملا بلا فصل بين القرآن المقروء والقرآن المنظور والقرآن الناطق.

إن بناء العقيدة وإنقاذها من التشويهات في ظل مخطط إنقاذ الإيمان واتخاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة عظمى في الوجود، انتهى منطقيا إلى بناء جزئيات السلوك بناء ربانيا محكما، فعادت هوية الإنسان المسلم أخلاقيا إلى مكانها الطبيعي، عبادة لله تعالى في المساجد، صدقا في المعاملة في عالم التجارة والأسواق خلاصا من البخل والتبذير، وتوجها إلى اقتصاد القناعة والبذل في سبيل الله والدعوة، والإخلاص في أداء مهمات الخلافة الإنسانية في جزئيات الحياة الكثيرة، والعيش في إطار اخوة إسلامية حقيقية، وبناء الأسرة بناء إسلاميا رصينا متميزا يتحول إلى جيل معتز بانتمائه الإسلامي إلى أمته، متوجها نحو إنقاذ الآخرين من الركوع المهين أمام الجحود الطاغوتي الشيطاني.

إن هذه الأمور الثلاثة قادت هوية الإنسان المسلم إلى إعادة محاولة تأسيس حضارة إسلامية فريدة، تمتاز بالوحدانية والربانية والإنسانية المتسامحة والعالمية المفتوحة والقيمية الأخلاقية والعلمية المبدعة، والسليمة الخالدة والوسطية العادلة والأصالة الرصينة. وهذه الأوصاف تجدها منثورة في ثنايا رسائل النور، عندما يتحدث صاحبها الإمام عن تجلى كل اسم من أسماء الله الحسنى في صنع الكون والحياة والمجتمع والحضارة، وكأنه يريد أن يقول للإنسان المسلم:

أيها المسلم أنت موضع تجليات أسماء الله الحسنى، لأنك تلميذ القرآن، وتقف في موكب ثمرة الكائنات. فكيف تذوب في حضارة لادينية يريد طغاة الزمان من الكفرة والمشركين واللادينين المسلمين الجغرافيين فرضها عليك. أتريد أن تخرج من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر المطلق والشرك المظلم وتتنكر لخلافتك العظمى في الوجود التي صنعت منك إنسانا كونيا صديقا للكائنات جميعا. عابدا لخالقك حق العبادة، تنظر نظرة شمولية جامعة إلى ما حولك ومن حولك، وسطيا لا تعرف لتطرف والميلان، صاحب رسالة عظيمة، كي تكون بها شاهدا على الناس، تعيش لتنال أنصبتك التي انبثقت من تجليات أسماء خالقك، حتى يأمن الناس على أنفسهم من شياطين الأنس والجن ومن الدجاجلة الذين لا يقوم عملهم إلا على التمويه والخديعة والتزوير والاستلاب.

إن هويـة الإنـسان المـسلم فـي رسـائل النـور، هويـة كونيـة قرآنيـة إنـسانية موحـدة ربانيـة عابـدة، ولـذلك فهـي هويـة متميـزة شـاهدة علـى النـاس جميعـا، زيـادة علـى ذلـك فهـي هويـة اخروية، لأنها تهيئ نفسها للفوز بالجنة ورضوان من الله اكبر.

وإذا كـان ذلـك كـذلك، فـإن أيـة هويـة أخـرى نلقـى بأنفسنا نحـن المـسلمين فـي أحـضـانها، ستكتب علينا صك الذل والعبودية لغير الله وإن فعلنا ذلك خسرنا أنفسنا وآخرتنـا، ودفنّـا كياننـا في ظلمات النسيان المطلق

ولئن سألتني: هل استطاع النورسي أن يحقق في عالم الإنسان المسلم مثل هذه الهوية؟.

أقول نعم، استطاع أن يربي طلاب النور على هذه الهوية الربانية حيث تجدهم فـي ارض الواقع – عندما تلتقى بأحدهم فردا أو في جماعة- تتجلى على وجوههم، عبـادة خالـصة، وأدب قرآني رشيد وسيطرة علـى المـال ونظافـة فـي البدن واللسان، وحـب للمسلمين جميعـا ووفـاء منقطع النظير للأستاذ، وإنكار للذات، وتواضع شفاف وتقدم في العلم والعرفان، وإتقان للعمل وحركة دائمة لا تتوقف ولا تفتر في خدمة الإيمان ونشر حقائق القرآن، وحكمة فـي التـصرف ووعـى بالحيـاة مـع هـدوء فـي الشخـصية بعيـد عـن الـصخب والجـدال والادعـاء والتعـالي والثرثرة.

ومن هنا فان الصحوة الإسلامية الحاضرة، لا بـد أن تـستفيد مـن دراسـة شخـصية الإمـام النورسي ومنهجه الإسلامي القويم الذي سطره في رسائله النورية، كي تـتخلص مـن الـشروخ التي أحدثتها ظروف المواجهة في السياسة والثورة والعنف، ولا سيما في البلاد العربيـة التـي لم تكن هجمة اللادينية قويـة شرسـة، كمـا حـصلت بـضراوة ودمويـة ومخطـط وحشى فرضـته شـروط "كـروزن" فـي مـؤتمر لـوزان، ووجـد لتنفيـذها انـسابا مريبـة، و عمالـة ذليلـة، ونفوسـا شرهة، وضـلالات جاحدة، ولادينيـة متطرفـة ملحدة. بينمـا خرّجت مواجهـة النورسـي الذكيـة البصيرة في رسـائله، هـذا الجيـل الـذي رأينـاه وخالطنـاه فوصـفناه فـي إيمانـه وتوحيـده وأخلاقـه وسلوكه وفهمه ونظافته .

فهرست

مقدمة 1 7
مقدمة 2 15
النورسي متكلم العصر الحديث 23
نظرية المعرفة في القرآن الكريم من خلال رسائل النور 33
من معالم التجديد عند النورسي 47
تجديد الفكر الإسلامي في القرن الحادي والعشرين ودور الإمام النورسي 63
هوية الإنسان المسلم في ضوء رسائل النور 85